أربعة أطوار والأنبا شنوده بطريرك

أربعة أطوار والأنبا شنودة بطريرك

السيرة الذاتية لحياة الأنبا شنودة البطريرك

معروضة في قالب روائي

الفصل الثاني

بقلم

سامي المصري

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

إهداء

لمصر أمي

ولشعب مصر العظيم صانع الحضارة

الفصل الثاني

الراهب أنطونيوس السرياني

رهبنة خاضعة- بعد الترشيح للبطريركية ثورة على المعلم وتآمر وخيانة

مقدمة الفصل الثاني	4
1) تمهيد مسرحي	10
2) أنطونيوس الراهب... تلميذ أبونا متىَّ المسكين	12
3) أبونا متىَّ المسكين وكيل البطريركية في الإسكندرية	21
4)عودة أبونا متى لدير الأنبا صموئيل	31
5)صراعات مع الأنبا يوساب البطريرك حتى النهاية	35
6) انتقال الأنبا يوساب والصراع حول منصب البطريرك	52
7) عودتي لدير السريان وإعلان الحرب على أبونا متى المسكين	60
8) الكنيسة والدولة والتشريعات المؤثرة بعد عزل الأنبا يوساب	70
9)أبونا مينا المتوحد... بطريركا باسم الأنبا كيرلس السادس واضطرام الصراع بين الرهبان على البطريركية	82
10) حرب تكسير العظام في الصراع على الكرسي المرقصي	97
11) أساقفة جدد ونظام الأسقف العام	107
12) الخاتمة السعيدة	118

مقدمة الفصل الثاني

هذا الفصل الثاني من السيرة الذاتية للأنبا شنودة يحمل الكثير من الحقائق الصادمة للقارئ القبطي، الذي حُجِب عنه التاريخ الحقيقي للصراعات التي كانت تدور في الخفاء. جميع من كتبوا عن تلك الحقبة كانوا يبذلون قصارى الجهد للتمويه على التاريخ لما فيه من أمور تسيء جدا لبعض الأشخاص، ممن نضع حول رءوسهم هالات النور والتقديس. من الغريب أن كل من كتب عن تلك الحقبة كان يحاول بقدر المستطاع التعتيم المُتعمَّد، وتغييب الحقيقة، عن أحداث جسام أثَّرت جدا بشكل سلبي في المجتمع القبطي بل والمجتمع المصري كله.

حتى الكتابات التي صدرت عن دير القديس أبو مقار كانت تحاول بقدر المستطاع أن تتباعد جدا عن تلك الحقائق المذهلة، لتَصوِر من قاموا بها في صورة القداسة والبراءة، مع عرض الجوانب المضيئة فقط بشكل انتقائي مبالغ فيه، رغم أنهم كانوا أكثر من أضير في كل ما حدث. وأنا أرى أن التاريخ لا يجب أن يُحجب عن المجتمع بأي حال ولأي سبب. فيلزم تسجيل الوقائع بكل شفافية، خاصة وأن تاريخ تلك الحقبة بها من الأحداث الجسام، التي تركت علامات غائرة على المجتمع القبطي، وما زالت تؤثر عليه بقوة، بل وستظل تؤثر فيه لأجيال قادمة ولزمان يطول الله وحده يعلم مداه، حتى تتضح الحقيقة أمام الأغلبية المغيبة من الشعب.

كل ذلك سبب لي صراعا كبيرا داخل نفسي عطلني عن الكتابة لمدة طويلة. كان هناك سؤالا دائم الإلحاح علىَّ؛ إن كل من كتَب قد حاول طمس الحقائق وتجاهلها، فهل هناك ضرورة تتطلب مني أن أظهرها؟!!! ولكن هل هناك فائدة من الصمت؟ ولمصلحة من؟!!! وهل الأمانة تقتضي أن أسكت كما سكت غيري؟!!! أم أني مُحمِّل بالمسئولية أمام الله والتاريخ، وأمام أجيال كثيرة، لأسلِّم قبل رحيلي كل ما قد أودعني زماني من أسرار أعرفها بكل اليقين.

لو فُرِض أن تقديري للأمور به نسبة من الخطأ، أو أن مقدرتي على إدراك الحقيقة قد خانتني لسبب ما كما قد يتصور البعض.. فقد أكون قد سمعت فلم أحسن السمع، أو قد رأيت فلم أحسن الرؤية.. فهل كل ذلك يعفيني من المسئولية حتى أخفى ما أعرفه؟!!!

بعد حوار طويل مع النفس وجدت أن السكوت لن يعفيني من المسئولية أمام ضميري، وأمام الله وأمام التاريخ بل وأمام أجيال قادمة. فأنا لا أملك حق السكوت أمام ما أعرف من حقائق. فكان لا بد لي قبل رحيلي من أن أفرغ ما في جعبتي من حقائق تلامست معها بكل اليقين، حتى أضعها أمام ذاكرة التاريخ ليحكم عليها. لقد راعيت الدقة فيما كتبت قدر استطاعتي، لأقدم كل ما أعرف بقدر بشريتي الضعيفة، من حقائق قد تتكامل أو تتناقض مع شاهد آخر غيري. وبتجمع شهادات الشهود يتجلى التاريخ الضروري للخبرة البشرية، والحقيقة التي تصنع التقدم الإنساني. فلو سكت الجميع لظل الإنسان يرزح تحت فكره القديم، يعيد نفسه، ويُكرِّر خطأه جيلا بعد جيل، دون أن يضيف للخبرة البشرية أي قيمة جديدة. إن أول مهام العمل العلمي هو تسجيل الحقيقة بكل دقة، فالحقائق تؤول لنظريات، ثم معرفة جديدة وتقدم بشري حضاري. ما أحوجنا إلى تسجيل التاريخ بشكل علمي. فبدون التاريخ الحقيقي تنمحي ذاكرتنا ونتجمد، وتحنط أفكارنا فينا داخل قوالب نمطية تفقدنا إنسانيتنا.

ولما كانت المعلومة التاريخية المعروضة صادمة لبعض القراء الأقباط المرهفي الحس، فرأيت أن أضع أمام القارئ القبطي بعض القواعد الهامة التي يلزم أن يضعها نصب عينيه وهو يقرأ التاريخ العلمي:

1 - من أكبر عيوب مُسجِّل التاريخ القبطي هو أنه يبالغ جدا في وصف قداسة وعظمة البعض مع إخفاء كل العيوب، كما أنه يبالغ جدا في وصم آخرين بالشر والهلاك الأبدي، فلا تجد أبدا البشر الطبيعيين. بينما الواقع التاريخي يختلف عن ذلك تماما فكل البشر بلا استثناء لهم مواضع ضعف وجوانب قوة. القديس بولس يقول، "الجميع زاغوا و فسدوا معا ليس من يعمل صلاحا ليس ولا

واحد (رو 12:3) وهو يشهد بما في المزمور (مز 3:14). فالعهدان يتفقان معا على تلك الحقيقة البشرية الخطَّاءة. والقديس يوحنا يؤكد نفس الحقيقة "إن قلنا انه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا" (1يو 8:1).

2 - من أهم سمات الكتاب المقدس بعهديه أنه لا يستنكف من أن يُظهِر ضعف وأخطاء كل القادة الروحيين بشكل واضح دون أي محاولة للتبرئة أو التغطية. وتلك واحدة من أهم خصائص الكتاب المقدس التي أرى أهميتها البالغة. أن تلك الخاصية النادرة في تسجيل الحقائق قادت وتقود البشرية نحو التحضر، فأخذت بالإنسان من الواقع البشري الهمجي لترتفع به إلى أعلى مستوى إنساني. داوود النبي والملك زنى وقتل بل قتل ليزني، فسجل الكتاب المقدس خطيئته بكل بشاعتها وبكل شفافية دون محاولة لتبرير الجريمة. بل ويُظهِر الكتاب كل عواقب جرمه التي انعكست على بيته و على أولاده، بتأديب الله نظير خطيئته المرفوضة. وفي العهد الجديد نرى بولس وهو يواجه بطرس الرسول علانية ويتهمه أمام الجميع بالرياء. إن ذلك يعطي الكتاب المقدس المصداقية التي تجعلنا نثق فيه، فالدفاع وتبرير خطأ القادة هو أكبر جريمة تفسد الحياة الفكرية للمجتمعات الإنسانية، وتلغي استخدام العقل لحساب الشر. منهج الكتاب المقدس واضح والمفروض أن يكون ذلك هو نفسه النهج المسيحي الذي يُطبَّق في المجتمع. فليس هناك من لا يخطئ من القيادات، ولذلك يلزم مراجعتهم جميعا دون استثناء. فذلك ضرورة حضارية لخدمة التقدم البشري.

3 - وعلى الجانب الأخر فهناك من نصمهم بالخطيئة والشر، بينما ليست كل أعمالهم شريرة، فلا بد أن توجد نقط مضيئة في حياة كل إنسان. وكان السيد لمسيح يحاول كشفها، فدافع عن المرأة الزانية بكل النضوج الفكري وقال لها ولا أنا أيضا أدينك، ومدح المرأة السامرية التي كان لها خمسة أزواج، ومن تعيش معه ليس زوجها. مدحها لأنها تكلمت بالصواب ولم تكذب لتخفي خطيئتها.

بينما أعطى الويل لرؤساء الكهنة والفريسيين لأنهم مرائين منافقين كذابين، ففي تلك الخصال كل متاعب البشرية.

4 - كل إنسان في الدنيا يخطئ ليس معنى ذلك أنه هلك وذهب للجحيم. كل الناس حتى من ندعوهم قديسين لهم أخطاء قد تكون كبيرة جدا، ومع ذلك لم يهلكوا كما يتصور السذج. إخفاء أخطاء الكبار تعطي للإنسان انطباعا يبعدنا عن واقع الحياة، تُصنِّف الناس لنوعين من البشر، فهناك من خُلقوا ليكونوا قديسين منزهين عن الخطأ، وآخرون مثلي خطاة. واقع الأمر مختلف تماما عن تلك الصورة فالكل مُعرَّض لكل أنواع الخطأ. وليس كل من أخطأ هلك وإلا لما كان هناك ضرورة للتوبة، ولمجيء المسيح ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا بحسب قول بولس، وعندما يقول بولس أنه خاطئ فذلك ليس تواضعا بل حقيقة. إن من لا يخطئ لا يتعلم ما هو الحق والخير فكلنا نتعلم عن طريق الخطأ. ومن لا يتراجع عن خطأه لا يحق له أن يقود أو يسود فهو مفسدة للمجتمع.

5 - يلزم أن يكون التاريخ صادقا، فكلما صدق خدم الهدف منه. التاريخ هو المرآة التي يرى فيها المجتمع حقيقته فيستطيع أن يتقدم نحو الأفضل. عندما يُدرك المجتمع الخطأ فهو يغير من نفسه. إخفاء أخطاء القيادات عن المجتمع يضلل المجتمع ويقوده نحو التجمد والتعصب وإظلام العقل. كما أن نقد المجتمع بشكل علمي مع إظهار جوانب الضعف والقوة يبني المجتمع ويصحح خطوه نحو حياة أفضل وهذه هي أهمية التاريخ وضروراته.

6 - تطبيق بعض آيات الكتاب المقدس تطبيقا خاطئا يسيء جدا للحقيقة. فلا يمكن أبدا أن أكذب في التاريخ بدعوى عدم إدنة الآخرين. عندما تعرَّض القديس يوحنا ليهوذا في الإنجيل قال ببساطة أنه كان سارقا (يو 6:12). هذه ليست شتيمة ولا إدانة، لتقع تحت طائلة الآية، لا تدينوا لكي لا تدانوا، لكنها قول حق وتسجيل تاريخي أمين، يلزم أن يقال، ولا علاقة لذلك التسجيل

التاريخي بالإدانة. أما إخفاء الحق والتعتيم على الخطأ فهو نفاق وكذب مرفوض يسيء جدا للحقيقة والمجتمع.

7 - ليس الهدف من كتابتي نشر الفضائح ولا التشفي ولا دافعها العداوة بأي شكل كما يفهم بعض المتخلفين، وبعض ممن يقرأها بهذه الروح الشريرة، لكن الهدف هو تسجيل التاريخ بكل أمانة وشفافية ليوضع أمام الأجيال كعبرة. فنحن جميعنا اشتركنا في الجريمة التي حدثت كمجتمع ونحن جميعا نجني الثمار من التراجع الحضاري المريع للمجتمع القبطي بسبب تقديس الفرد بل تأليهه، الأمر الذي أساء لنا وللدين ونفَّر الناس منه. وأساء للمسيحية والمسيحيين.

8 - من حقك أن يكون لك رأيك المخالف عما أراه، ومع ذلك فمن المحتمل أن يكون رأيك ورأيي معا على صواب، فالحقيقة أكبر منا جميعا، وهي تستوعبنا أنا وأنت وهو وهي معا وفي نفس الوقت. لذلك يلزم أن نقبل بعضنا ونحن مختلفين في الرأي كما ونحن متفقين.. قد يكون ما أره الآن ليس هو ما تراه أنت، فاترك الأمر ليحكم عليه التاريخ.

لكل ما تقدم أطرح كتابي هذا لأسجل التاريخ كما رأيته والحق كما وعيته لست مفترضا في نفسي الكمال لكني أريد أن أشرك مجتمعي القبطي، بل والمجتمع المصري بل والإنساني كله فيما رأيت، لعلنا نبلغ معا إلى الحياة الأفضل ولمجتمع أكثر نضجا وتحضرا. قبل كتابي هذا كنت أرى نفسي كمن يخفي وزنته في الرمل. إن إخفاء الحقيقة التاريخية تضع سترا فوق العيون، مما شارك في حجب الرؤية عن الأجيال المعاصرة فأضاع عليهم الوقت والفرص ليحققوا ذواتهم أمام التاريخ ويضيفوا للتراث الإنساني من ثمين إنتاجهم الفكري والأدبي والروحي.

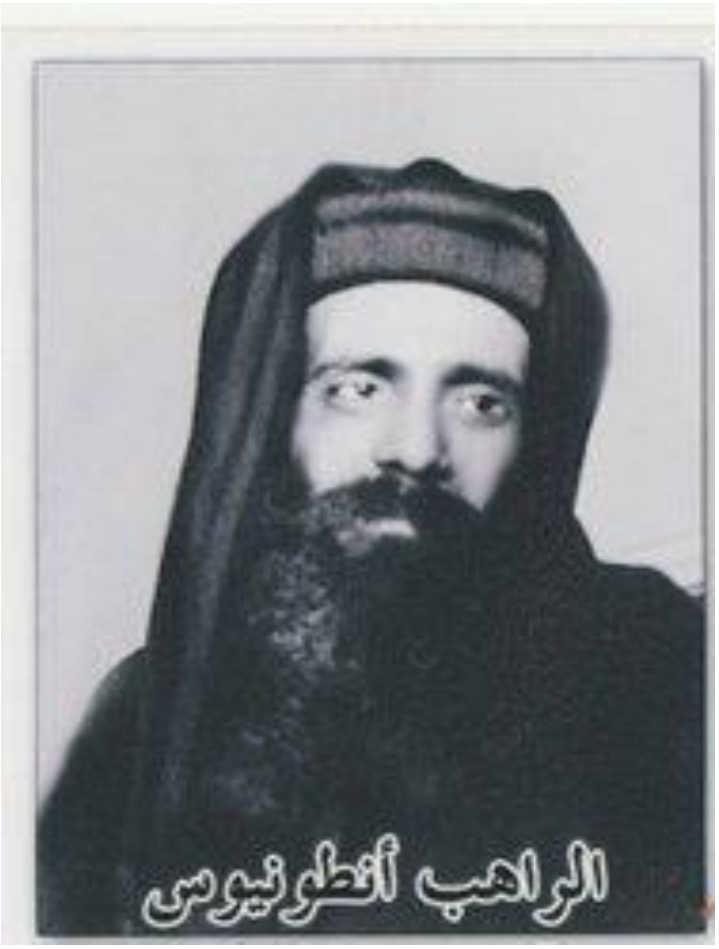
الراهب أنطونيوس

(1) تمهيد مسرحي للفصل الثاني

انفتح الستار بعد الاستراحة

ظهر الأنبا شنودة الثالث وفوق رأسه التاج الذهبي يتلألأ ويجلس على عرشه الفخيم، يحيط به كل من الأنبا شنودة الأسقف وأبونا أنطونيوس السرياني ويجلس أمامهم الأستاذ نظير جيد بعد الاحتفاء بعيد ميلاده السعيد. الكل في حبور وسعادة بالغة. والبابا المعظم في أبهى حلة وأجمل رونق، وفي أروع حالات التجلي والانشراح.

البابا المُعظَّم قطع الصمت بحديث مفعم بالنشوى... لقد كنت واثقا كل الثقة من براءة نظير من كل التهم التي وُجِّهت إليه فأنا أعرفه تماما، لكني أردت بعقد هذه المحاكمة أن أسكت الألسنة التي تتكلم عليه، وهي تقصد أن تتكلم عليَّ لتنال مني. من ناحية أخرى أردت أن أبيِّن للجميع أنه لا يستعصى عليَّ أمر، فحتى الزمان يمكن إخضاعه للسلطان البابوي الذي هو سلطان المسيح نفسه. **أنا هو المختار من الله؟!!**.. فها نحن الأربعة نجتمع معا أمامكم لُنسكِت كل لسان يتكلم علينا. نحن الذين لم نلتقي أبدا في التاريخ، بل ولم نلتقي أبدا لا في الأفكار ولا في المبادئ ولا في التعليم، فنحن مختلفون في كل شيء. فكل تعليم وكل مبدأ علمه أحدنا نقده الآخر من الأساس، وهذا منتهى الإعجاز. فمع كل الخلاف والاختلاف فنحن شخص واحد عجيب الأطوار لا نتطابق أبدا بل نتكامل لنحقق نفس الهدف الواحد الذي عشنا لأجله نكمله مع كل طور. وحتى يكتمل الهدف كان لا بد من الاختلاف فالغاية تبرر الواسطة.

ولقد رأيتم بأعينكم وسمعتم بآذانكم ذلك التاريخ المجيد الذي استفدنا منه جميعا. عندما توقف نظير عن سرد قصة حياته التي توقفت بشكل فجائي بذهابه للدير شعرت برغبة في الاستزادة لإكمال التاريخ، كما أرى أن كلكم شعرتم بذلك. فشعرت بما شعرتم به من حاجة مُلِحَّة لاستكمال ذلك التاريخ. ولذلك فقد استدعيت أطوارنا الأربعة معا ليتحدث كل منا عن تاريخ أمجاده. وها هو أبونا أنطونيوس حاضر معنا الآن، فعندما توقف الزمن لنظير بدأ في نفس اللحظة زمن أبونا أنطونيوس، فهو الوحيد

الذي يستطيع أن يضيف الكثير لذلك التاريخ من اللحظة التي توقف عندها نظير عن السرد.

ولما كان اجتماعنا نحن الأربعة المختلفين في كل شيء، من وراء الزمان، أمر معجزي فريد لا يتكرر، لذلك قررت أن أنتهز الفرصة لتكملة عرض التاريخ. فطلبت من أبونا أنطونيوس أن يُكمل لنا سرد تلك الأحداث من اللحظة التي بدأ فيها زمانه عقب الموت الاختياري لنظير جيد عن العالم. ففي هذا الفصل الثاني أقدم لكم أبونا أنطونيوس السرياني لا للمحاكمة كمتهم بل كشاهد على العصر.

تصفيق حاد... هتافات... وزغاريد

****

أبونا أنطونيوس فليتفضل ...

مزيدا من التصفيق... والهتاف

****

(2) أنطونيوس الراهب... تلميذ أبونا متىَّ المسكين

أبي وسيدي صاحب القداسة، الحبر الجليل، أب الآباء، وراعي الرعاة، ثالث عشر الرسل، الطوباوي، رئيس الكهنة المُكرَّم، قداسة الأنبا شنودة الثالث... أدامه الله حياته لنا وعلينا سنين عديدة، وأزمنة سلامية هادئة مديدة ...

كان يوما تاريخيا ليس فقط في حياتي بل في تاريخ الكنيسة كلها، يوم أن نطق الأسقف باسمي لأول مرة عند الصلاة علي نظير صلاة الموتى ليبدأ زماني أنا الراهب أنطونيوس السرياني... لم أكن وحدي تحت الغطاء الذي طُرِح فوقنا عند القيام بشعائر الرسامة الرهبانية، بل كان معي أخ الذي يعتبر توأما لي في الرهبنة، إنه أبونا إسطفانوس. وهو شاب كان قد تخرج من كلية التجارة، ومن مدارس أحد كنيسة البطرسية. كان قد حضر إلى الدير منذ ما يقرب من العامين، ووُضِع تحت الاختبار الدقيق للرهبنة. نظير الذي حضر إلى الدير منذ أيام قليلة طالبا الرهبنة لم يقضي فترة تحت الاختبار، حيث كان معروفا للأب متىَّ المسكين وللأنبا ثيئوفيلوس رئيس الدير، بل كان حضوره فرصة عجَّلت برهبنة إسطفانوس الراهب. وبهذه المناسبة حضر من الإسكندرية خصيصا أبونا متى المسكين الذي كان يعمل وكيلا للبطريركية بها منذ مارس الماضي. ورغم كل مهامه ومسئولياته الضخمة جدا لم يكن ليفوته الحضور بنفسه والاشتراك في الصلاة الخاصة بتكريسي للرهبنة. كان يوم 18 يوليو عام 1954 يوما مشهودا بدير السريان، حيث كان احتفالا بهيجا لرهبنتي. رنين أجراس الدير أثناء الصلاة ثم رنينها المستمر بعد الصلاة كانت صدَّاحة بتهليل بهيج، تلهب المشاعر بالفرح والحبور. كل رهبان الدير أتوا مهنئين بقبلات البهجة الروحية والأماني السعيدة للراهبين الجديدين. اشترك كل الرهبان معا في طعام الغذاء مع الأسقف تعبيرا عن بهجة استثنائية ليوم فريد من أيام دير السريان العامر. اشترك الكل في أحاديث روحية شارك فيها الأب الأسقف وأبونا متى المسكين طالبين للراهبين النمو في النعمة والقداسة من خلال حياة رهبانية مشتملة بالتقوى والبر.

بعد الاحتفال كان على الرهبان العودة للقلالي لممارسة حياتهم الرهبانية العادية، فسارع كل لقلايته. كنت واحد من هؤلاء الرهبان العائدين، وما كدت أن أغلق الباب عليَّ لأول مرة أنا أنطونيوس لأواجه الواقع الذي لم أتوقعه. كل هذه الأفراح والأماني الحلوة قد تلاشت بسرعة ليحل مكانها مشاعر غريبة لا يمكن وصفها أو تصورها إلا لمن كابدها. هنا في القلاية حيث يتواجه الإنسان مع نفسه ليتقلى على نيران الوحدة الهادئة البطيئة الحراك فيواجه الإنسان كل بشريته كما هي، التي لطالما هربنا منها. لا يوجد خبر يؤرقك ليشغل ولو جزء من الوقت الممل الذي لا يتحرك، لتدهمك الهواجس الغبية التي تكتشف خوائها لترتد لخواء اللا معنى. من اللحظة الأولى لدخولي القلاية بدأت تلك المشاعر الغريبة تنتابني حاولت الصلاة حتى أتخلص من تلك المشاعر الحزينة فخانتني أفكاري ولم يمكن لي متابعة معاني المزامير التي رددتها من قبل كثيرا، فتحت الكتاب المقدس لأجتذب تأملاتي القديمة إلا أني لم أجد لي مشاعرا، بل انتابتني أفكار ضجرة بل وناقدة لما قرأت. أغلقت الكتاب محاولا أن أغمض عينيَّ قليلا حتى تهدأ نفسي. تمنيت البكاء لكن حتى الدمع كان عصيا فاستسلمت لفكري بلا قدرة على المقاومة. مر الوقت متثاقلا بلا معنى. لم تخرجني من هذه الحالة سوى دقات جرس صلاة الغروب الذي شعرت انه ينتشلني من عمق هوة كئيبة. فنهضت واقفا أصلب على نفسي. وأنا في انتظار تلك اللحظة لأفتح باب القلاية وكأنه باب مقبرة طالت فيها إقامتي حتى تعفنت فيَّ أفكاري الحزينة. وما كدت أرى نور الغروب حتى تنسمت الصعداء. فرحت بالنور وبخروجي إلى الهواء الطلق. سرت مسرعا في طريقي للكنيسة وكنت فرحا إذ ألتقي بوجوه الرهبان لنسير معا لأول مرة وأنا راهب حتى بلغنا للكنيسة. وبدأت صلاة الغروب مسرعة كالعادة لكن هذه المرة كان لها وقعا جديدا يختلف تماما عن كل المرات التي حضرتها قبل الرهبنة. عرفت ضرورة هذه الصلاة للراهب، فهي لا بد منها لاستعادة نشاط الراهب بعد يوم ممل طويل من الوحدة.

بعد الصلاة كنت في شغف أن أعرف مشاعر أبونا إسطفانوس توأمي في الرهبنة. وهل تعرض لما تعرضت له؟ لم أسأله بشكل مباشر لكني حاولت أن أطمئن عن أحواله، فتبين لي أنه قد تمرس على حياة الرهبنة لما يقرب من العامين من قبل وهو تحت الاختبار، فلم يكن الأمر جديدا عليه، وكان متعجلا في الذهاب ليعود لقلايته فتركته. كان بعض الرهبان بعد الصلاة يخرجون خارج الدير للصحراء للتأمل في الغروب البهيج، منهم من كان ينفرد وحده وآخرون يخرجون في مجموعات... اثنين أو أكثر، خرجت معهم وكنت متعطشا لأي حديث مع الرهبان، فكان الشعور بالوحدة الذي انتابني فجأة يخيفني.

تجنبت لقاء أبونا متى بعد الصلاة حتى لا يراني وأنا في هذه الحالة المنزعجة، فعجَّلت بالخروج خارج الدير مع مجموعة من الرهبان البسطاء الذين كنت أعتبرهم من الجهلة، لكني الآن شعرت أني محتاجا لحديث البسطاء لأعرف وأتعلم منهم أسرار الحياة الجديدة ولأجد مخرجا من هذا لشعور الحزين القاتل. ما كدت أن أخرج لأتنسم هواء الغروب وأمتع ناظري بلوحاته البديعة في رحابة الصحاري، والتي تتغير بشكل دائم لتقطع الرتابة والملل. ولأول مرة أرى نفس تلك الصور التي عشقتها قبلا فإذ بشمس الغروب محمرة العين دامعة يحدوها شفق الغروب بحدب المعزيين. أفقت من غفوتي مع سحر الطبيعة على صوت راهبا ينده اسمي الجديد الذي لم أعتاده بعد. قال الراهب الذي أتى يلهث خلفي، "أبونا متى يبحث عنك ويريدك أن تذهب إليه في قلايته"... رجعت مسرعا وتوجهت لقلاية أبونا متى المُنعزلة في أعلى الطرف الشمال الشرقي من سور الدير. طرقت الباب "أغابي يا أبونا" ففتح لي ودعاني.. جلست بجواره على الحصيرة.. لم يكن متعجبا مما أنا فيه بل شعرت أنه كان يتوقعه كأمر طبيعي مما هدأ من روعي.. بدأ حديث طويل معي. تكلم عن أهمية العمل اليدوي للراهب وتنظيم الوقت مهما كانت الظروف الخارجية أو النفسية، لذلك يبدأ الراهب بالعمل في المجمع، في الخدمة وإعداد الطعام وأعمال النظافة بالدير. كلفني أبونا بالبدء من الغد القيام بهذه الأعمال في قصر الضيافة حيث الأسقف والزوار كما يلزم أن أشارك في إعداد الخبز. ثم بدأ يتكلم عن تنظيم

الحياة الروحية للراهب، وأعطاني كتاب صغير للقديس يوحنا الدرجي اسمه سلم السماء ودرجات الفضائل، هذا الكتاب أحببته جدا، إذ كان يتفق مع طريقة تفكيري التي تُمنطق كل شيء وترتبه في خطوات محددة. حدثني عن تدريب الحضور الإلهي والصلاة الدائمة وأعطاني إرشادات عملية لممارستها. وأشار علي بقراءة كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية بطريقة جديدة عملية ولأبدأ بالباب الثاني حيث أن البابا الأول ليس للمبتدئين... كرر نصيحته بالتعقل والاعتدال في كل شيء مع حفظ القانون الرهباني من الصلوات والتسابيح، ثم صلى على رأسي ووعدني بالصلاة من أجلي.

كانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساءا حين عدت لقلايتي وأنا أكثر راحة أو بحسب التعبير الرهباني في حالة من العزاء. تذكرت شعري الأخير الذي تركته لينشر في مجلة مدارس الأحد بعد رحيلي "أنا في البيداء وحدي" وأنا أزهو فيه بالحديث عن الراهب السائح، يجوز القفار وحده... بينما أنا هنا متعثرا في المرحلة الأولى البدائية من الرهبنة... ضحكت.. ضحكت وسخرت من نفسي، فأنا لست قادرا على احتمال الحياة داخل القلاية.

بدأت خدمة المجمع فكنت أعد الطعام للأسقف وزوار الدير وأقوم بتنظيف القصر كما كانوا يسمونه. كان قد أبطل طقس غسل أقدام الزوار بعد أن توفرت الطرق السهلة لزيارة الدير وكانت العربات الجيب تحضر الزائر حتى باب الدير. وكان عليَّ أن أعد الطعام للزوار، وأقوم بغسل الصحون وتنظيف المائدة. لم يكن مسموح لي في ذلك الوقت بالحديث مع الزوار الأجانب، حيث كان يُكلَّف بهذه المهمة الرهبان القدامى أمثال أبونا فلتاءوس أو أبونا متاءوس وكان يشاركهم أبونا لوقا. وكنت أشارك في عجن الخبز والقربان وإعداده للخباز. ومن حين إلى آخر كان يحضر زوار مصريون للدير كان من بينهم تلاميذي القدامى في الإكليريكية أو مدارس الأحد، فكان يسعدني جدا الحديث معهم الذي يعتبر فرصة للتفريج عن النفس من ضغطة القلاية.

تذكرت حواراتي مع الأب مكاري السرياني.. وبدأت أسأل نفسي .. هل كان مُحِقا فيما أسماه بالرهبنة الخادمة؟ لقد تأكدت بنفسي أنه ليس كل شخص مؤهلا لرهبانية الصلاة، فهي تحتاج لاستعداد شخصي بل إنها موهبة نادرة، هذا ما تيقنت منه تماما وأنا في هذه البوتقة التي تعلمت منها الكثير بالمشاهدة والممارسة الفعلية. كنت أتعجب لرهبان حولي مثل أبونا مينا الذي سبقني في الرهبنة بعامين فقط، وهو خريج كلية العلوم ومن التلاميذ الأول لأبونا متى المسكين. هذا الراهب كان يلازم القلاية وهو في سعادة غامرة. بل كان ينتظر الصوم الكبير بفارغ الصبر ليحبس .. أي يظل ملازما للقلاية طوال فترة الصوم لا يخرج منها سوى كل أسبوع لحضور القداس وأحيانا يستمر حابسا لأسبوعين أو أكثر. كنت أحضر له الطعام وأتركه على باب القلاية وكثيرا ما لا يأخذ طعامه. وكم مرة كان يفتح الباب لأمر ضروري فأفاجأ بأن أرى إنسانا شبه نوراني، كان وجهه يشع بالفرح والسلام ويضفي عليَّ من سلامه دون أن ينبس بكلمة، مما كان يساعدني ويشجعني على الاستمرار في الجهاد في حياة الصلاة. في نفس الوقت رأيت رهبانا قدامي في مراحل شديدة من المعاناة والجهاد الروحي الصعب للغاية. أذكر أبونا لوقا الذي كان كثيرا ما يخرج من قلايته في الليل وهو في حالة مخيفة من الانهيار النفسي والروحي ويقوم بتدخين سيجارة ويظل صامتا واجما لساعات لا يجد فيها الراحة. رغم أن هذا الإنسان كان طيب المعشر جدا ومن الشخصيات الروحانية اللطيفة للغاية. كل ذلك كان يخيفني في بداية حياتي الرهبانية. لكن أبونا متى كان يؤازرني بنصائحه وتشجيعه لي.

حياة الرهبنة ليست للجميع ولا يستطيع أن يدركها سوى القليلون ممن لهم طبيعة خاصة. من يطرق هذا الباب يلزم أن يكون ممتلئ النفس شبعان من النعمة التي ترويه وتتكاثر وتنمو بحياة الوحدة والعزلة التي يحبها. أما من يطرق هذا الباب وهو فارغ النفس فهو يحترق بفراغه في نار الوحدة وتكون النتيجة في غاية من السوء. لذلك فالرهبنة طريق خطر جدا فإما أن تبلغ لدرجات غاية في السمو المطرد والنماء المستمر أو تتهاوى إلى أعماق مخيفة من الشر ولا توجد حالة وسط. احترمت بعض الذين طرقوا حياة الرهبنة ثم اكتشفوا أنها ليست طريقهم فرجعوا

سريعا قبل أن يتورطوا في طريق وعر غير آمن. مثل لذلك أحد شباب كنيسة الأنبا أنطونيوس الروحيين، حضر للدير للرهبنة وبعد أسبوع واحد قرر ترك الدير، وقال بينما أنا أجل الرهبنة فهي ليست طريقي. يلزم للرهبنة طبيعة خاصة فهناك علماء وأدباء وفلاسفة وفنانين عاشوا حياة تتماثل مع حياة الرهبنة تماما دون أن يُلزِمهم أحد. كان خريجي جامعة الإسكندرية القديمة في مجدها التليد في القَرون الأولى، يحصلون على لقب B.S. (Bachelor of Science) أي مُتبتِّل من أجل العلم، حيث صارت لقب رسمي اليوم للعلميين من خريجي الجامعات الحديثة. فالرهبنة هي حياة التفرغ الكامل الحر لهدف نبيل محبب للنفس التي تعشق الوحدة. إنها حياة المتخصصين، ولكن الخطر كل الخطر لمن يُقبِل على تلك الحياة وهو ليس مؤهلا لها. بدأت أراجع حياة أبونا متى التي كانت دائما مثارا لتعجبي، فقد كان رجلا غنيا عنده صيدليتين يُدِرَّان عليه المال الوفير كما كان خادما يصرف أمواله على الفقراء والمعوزين فلم يكن ينقصه عمل الخير.. وكان يعمل لحساب نفسه بكل حرية بدون رئيس يضايقه... وفي وضعه الاجتماعي المرتفع المستوى والمستقر لم يكن في أي حاجة للسعي وراء مناصب كنسية أو سلطة، كما لم يكن له أي توجهات أيديولوجية سياسية أو اجتماعية مثل مدارس أحد الجيزة. لكنه فجأة يقوم ليبيع كل ممتلكاته ويوزعها على الفقراء ثم يذهب قاصدا أفقر الأديرة المجهولة حتى للقيادات الكنسية، حيث لم يكن به حتى دورات مياه، ولم يكن بالدير مرشد روحي يمكن حتى أن يساعده في الخطوات الأولى الصعبة لحياة الرهبنة. وكان الدير معزولا تماما في الصحراء لا توجد وسيلة مواصلات تصل إليه، فكان لا بد من انتظار قافلة الجمال التي تخترق الصحراء، ولبلوغ الدير كانت الرحلة تستغرق ما يقرب من 12 ساعة فوق الجمل. كان بالدير خمسة رهبان معتلِّي الصحة ومتقدمين في الأيام بينهم راهب كفيف، بينما أبونا متى كان هو الشاب الصغير الذي كان عليه أن يُقدِّم الخدمة للجميع. ومن هذا المكان القسي ذاعت شهرته رغم عنه وهو لا يأبه لها. كل ذلك كان يؤكد لي أنه لم يكن له أي تطلعات نحو المناصب الكنسية كما لمست ذلك بنفسي في مناسبات متعددة، فهو يرفض الفكرة تماما. كان ذلك من أكثر الأمور

التي شجعتني على التلمذة تحت إشرافه، حيث أنه لن يكون منافسا لي يوما ما مثل أبونا مكاري، لو فكرت في المناصب .

كان المفروض أن يعود أبونا متى للإسكندرية سريعا لمسئولياته الضخمة التي كانت تنتظره. وكان قد عمل الترتيبات لرسامة شابين من خدام مدارس الأحد للكهنوت في الإسكندرية في الأحد التالي لرهبنتي، كانت تواجهه مصاعب كثيرة حيث أن كهنة الإسكندرية كانوا في حالة ثورة عارمة بسبب تلك الرسامة. وقبل عودته أعطاني مفتاح قلايته وقال لي، كلما شعرت بالضيق يمكن لك أن تفتح قلايتي وتجلس فيها. كان ذلك يؤكد لي ثقته الكبيرة فيَّ، ويزيدني من تعلقي به. وتوالت الأيام حيث بدأت أعتاد الحياة في الدير وأرتاح لممارسة القانون الرهباني داخل القلاية وفي مجمع الرهبان. كان أبونا مينا مسئولا عن مكتبة الدير لكن لحبه في الوحدة اتفقنا على أن يسلمني المكتبة التي سعدت بالعمل فيها جدا. تعتبر مكتبة دير السريان من أغنى المكتبات القبطية بل والمصرية في المخطوطات القبطية القديمة النادرة التي تجتذب العلماء من كل أنحاء العالم. وكان بها مراجعا حديثة بالإنجليزية والفرنسية بل واليونانية استحضرها أبونا متى من الخارج. هذه المكتبة العظيمة كان الأستاذ يسى عبد المسيح أمين المتحف القبطي والخبير العالمي في المخطوطات قد اهتم بترتيبها حيث حضر إلى الدير وقام بتبويبها وتنظيمها على أساس علمي وتاريخي دقيق، واستمر في العمل الدءوب بها لما يقرب من ثمانية أشهر. كان عملي في المكتبة متعة كبيرة، فكنت أقضي الساعات الطويلة أقلِّب في كتب متعددة الأنواع والأشكال وإن كنت لا أجيد اللغات القديمة إلا أنها كانت مجالا ممتعا للتسلية الذهنية تأخذ بالوقت بسرعة.

ثم بدأت الاشتراك في العمل في أنشطة المزرعة مع أبونا متياس، وهو خريج كلية الزراعة الذي أنشأ مزرعة الدير الغزيرة الإنتاج. فحقق إنتاج المزرعة الاكتفاء الذاتي للدير من الطعام واللحوم، بل وزاد إنتاجها الوفير عن الحاجة فبدأ الدير يبيع المنتجات في الأسواق. ولأول مرة أصبح الدير قادرا على الاعتماد على نفسه ماليا دون الحاجة لمساعدات وتبرعات. كان العمل بالمزرعة مبهجا جدا، فكان يمتص الكثير من

المشاعر السلبية التي تجتاح النفس من وقت لآخر، فكنت أشعر بسعادة كبيرة في قضاء الوقت بالمزرعة بين الخضرة الجميلة والثمر الوفير حتى مع الحيوانات اللطيفة الوادعة والفلاحيين البسطاء الذين كانوا يعملون في الدير.

مرحلة عجيبة من العمر ملأت نفسي بمشاعر من التخشع والرهبة والمهابة، والرغبة في التعلم والمعرفة الروحية والخضوع، لم أشعر بها في أي مرحلة من عمري. بدأت أعرف وأشعر بضآلة حجمي أمام مستويات عالية من القداسة الحقيقية والقوة الروحية. حتى صغار الرهبان غير المتعلمين كنت أشعر بجديتهم الشديدة في ممارسة حياة القداسة ورغبتهم في التعلم وممارسة القانون الرهباني بكل دقة وطاعة مع الاشتراك في الصلاة والتسبيح بكل نشاط. كل ذلك كان يدفعني لأكون على الأقل مثلهم. كان يبهرني إيمانهم البسيط الذي يصنع المعجزات ويذلل كل العقبات بشكل يعجز أن يدركه العقل الطبيعي. رأيت بِعينيَّ معجزات كثيرة مبهرة. لست أنسى ذلك النور الذي تفجر من دير الأنبا بيشوي وأضاء الليل ورأيناه بشكل مُبهر من دير السريان. وقد عرفنا أن رهبان الدير كانوا يحفرون ففتحوا موقعا به كثير من الأجساد، تبين أنه كان مقبرة قديمة للرهبان، فتفجر منها النور مع رائحة البخور القوية. وللعجب أن يظل النور فوق الدير لعدة أيام ساطعا ومبهجا ومرهبا، نراه بوضوح من دير السريان. كل ذلك كان مدعاة لتزايد مشاعر الرهبة عندي والجدية في الممارسات الروحية. تذكرت تلك المرحلة التي التحقت فيها بالإكليريكية القسم المسائي كانت لي رغبة قوية في التحصيل والجدية في المعرفة وبذلت أقصى طاقتي، لذلك كانت النتيجة أني تخرجت بتفوق وكنت الأول على دفعتي وعيِّنت معيدا. وصار بيني وبين الدكتور وهيب عطا الله صداقة قوية. هذه المرة بعد الرهبنة كنت مدفوعا بقوة بالقصور الذاتي محمولا بمشاعر القداسة المحيطة بي من كل ناحية التي لا تقاوم. كانت علاقتي بالأب متى المسكين تترسخ وتتزايد عمقا كل يوم حتى كنت أشعر بثقته الشديدة فيَّ مما كان يزيد من حيويتي وحماسي في الحياة بقداسة وتقوى. لم يمنع كل ذلك من أن أمر بحالات من الإحباط والشعور بالحزن الشديد بعد

الممارسات الروحية بإفراط والتأمل لساعات طويلة، فتنتابني حالة غريبة من الرفض. كانت تلك الحالة تقل حدتها ويتباعد تكرارها كلما عرفت كيف أمارس حياة التأمل باعتدال مع العمل اليدوي والخدمة في المجمع والمزرعة، حسب إرشادات أبونا متى.

كانت تداعبني من وقت لآخر فكرة تجربة حياة المغارة لكني لم أحاول القيام بتلك المغامرة الصعبة، في الوقت الذي نصحني أبونا متى بعدم التفكير في هذا الموضوع قبل التمرس على حياة الراهب المبتدئ في القلاية بأمانة.

في وسط كل ذلك الجو الروحي الغامر كان هناك أمر يُنغِّص عليَّ حياتي كلما تذكرته بل كان يخيفني. كان أخي شوقي قد تخرج من الإكليريكية منذ ما يقرب من العشرين عاما إلا انه لا يمكن رسامته لأي رتبة كنسية لان الكل يعرف أنه ابن الزوجة الثانية، فقد اعترف بذلك عند التحاقه بالإكليريكية ببساطة ولم يكن يعرف تبعات ذلك. أنا في نفس الموقف لكن لحسن الحظ لم يعرف أو يتنبه أحد لذلك السر. بعد رهبنتي رُسِمت أبدياكون والأسقف يفكر في رسامتي كاهن، المشكلة الكبرى لو افتضح الأمر فسأكون في موقف غاية في الحرج، في نفس الوقت سيضيع مستقبلي تماما وتنهار كل آمالي. كنت أشعر بالخجل من نفسي كلما تصورت أن أحدا يواجهني بموقف أخي الذي أعرفه تماما بينما أن أخفي موقفي المماثل. ولكن السؤال الذي كنت اردده بغضب؛ ما ذنبي في أن أكون ابن الزوجة الثانية؟!!! هل ذلك القانون عادل؟!!! من المؤكد أني سألغيه يوم أن أصبح بطريركا. إن أخي الآن يغير اتجاهه الكنسي بالتحاقه بكلية الآداب وسينسى الناس أمره تماما بعد حين. عامل الزمن قادر أن يُلئم كل تلك الجراحات فتختفي تحت السطح عندما تطبق عليها مياه الأحداث الكثيرة.

(3) أبونا متىَّ المسكين وكيل البطريركية في الإسكندرية

صاحب الغبطة قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة، في تلك المرحلة الانتقالية من حياتي كنت لا أملك من نفسي سوى الانحياز الكامل للراهب متى المسكين، فكنت في أشد الحاجة إليه. وكنت في شدة الحماس له عندما كان أبي ومرشدي الروحي، حين كنت أضع كل ثقتي فيه، بل كنت أعتقد تماما أنه سيكون الوسيلة الآمنة المؤكدة لتحقيق كل أهدافي التي هي أهداف قداستكم. لذلك ليس عجيبا أن أعرض أمامكم مشاعري كما كانت نحوه، ورؤيتي للأمور في ذلك الوقت. وحيث أني لا أملك إلا أن أنقل مشاعري كما سُجِّلت في ماضي العمر محفورة على ألواح الزمان الذي لا يمكن تغييره، وغير قابلة لأي تعديل ولو صغير. إن حرصي لأنقل لكم مشاعر الماضي المُسجَّلة مع كل الأحداث التي كانت تزيد من حماسي للأب متى المسكين أمر ضروري حتى تدركوا عمق التغير والكسر الفجائي الذي حدث بعد ذلك في لحظة واحدة، لم أكن أنا نفسي لأتصوره. كنت في شدة الحماس لأبونا متى وأنا أرقب الحرب الشَرِسة التي تَعرَّض لها من يوم ذهابه إلى الإسكندرية وصراعه من أجل الإصلاح والخدمة. فما تبقى لي من حديث لا أملك فيه سوى أن أنقل لكم ما تعرض له من حرب عنيفة كانت بدايتها الذهاب للإسكندرية.

لم تكن مهمة أبونا متى في الإسكندرية بالمهمة السهلة لشخص يعيش حياة المغارة، فينتقل فجأة لذلك الوسط الفاسد المتجمد الذي يرفض الإصلاح ليعمل على تصحيح مساره بحسب طلب الأنبا يوساب منه. لم يكد أبونا متى يستقر حتى اهتم بالتعليم الروحي، فالتف الشعب السكندري حوله بسرعة وأحبوه بشكل غير مسبوق. قام أبونا متى بتنظيم الاجتماعات الروحية ودراسة الكتاب المقدس واجتماعات الصلاة التي لم يعرفها الشعب من قبل، فاستقرت برامجها بشكل مُنظَّم ومستمر. وجاء وقت حين كان الشعب لا يغادر الكنيسة المرقسية إلا في ساعات متأخرة من الليل يوميا، ملتفِّين حول الأب الوكيل (كما كان يطلق عليه) يسألون فيتلقون إجابات واضحة قوية روحية لكل استفساراتهم. كل ذلك لم يكن بالأمر السهل على كهنة الإسكندرية الكبار ذوي الحيثية والوقار، وهم

خاليين من المعرفة. بينما ذلك الشاب الصغير الذي جاء ليترأس عليهم، فجمع كل شعب الإسكندرية حوله بهذه السرعة وحصل على شعبية غير مسبوقة دوت أصداؤها في مصر كلها.

وزادت حِدَّت المشاكل واستفحلت عندما فتح أبونا متى بؤرة المفاسد المالية العفنة، فكانت هناك مشاكل مالية ضخمة تنتظر أبونا الوكيل ليعطي فيها قرارا لا يحتمل التأجيل. موظفي البطريركية لم يتقاضوا مرتباتهم لشهور طويلة... وهناك قسوس مرتباتهم تصل لأربعة جنيهات شهريا بينما كهنة آخرين تصل دخولهم الشهرية لمئات من الجنيهات... كل ذلك مطلوب اتخاذ فيه قرارات سريعة وحلول لا يملك أبونا متى إلا أن تكون حلولا عادلة مها كانت الصعاب. وكيل المجلس الملي السيد فؤاد جرجس الذي كان يحتكم على الأوقاف القبطية، حيث أملاك وعقارات تبلغ قيمتها عشرات الملايين من الجنيهات بمقاييس تلك الأيام، لكنه يغل يديه ولا يريد التفريط في مليم واحد من الأوقاف القبطية لدفع المرتبات المستحقة للعاملين بالبطريركية. وبدأ هنا أول صدام مع الأب متى المسكين الذي قام بفك أحد الأوقاف القبطية الصغيرة، رغم إصرار السيد وكيل المجلس على الرفض، وبذلك قام أبونا متى بدفع كل المرتبات المستحقة بل وزاد عليها بأن أعطى علاوات سخية للدخول الصغيرة... وكان ذلك أول صدام حيث وصلت الشكاوي الأولي للبابا في القاهرة، وفي نفس الوقت بلغ البابا أخبار الفرح العارم للشعب السكندري بالإنجازات المادية والروحية العظيمة للأب متى المسكين، فكتب الأنبا يوساب له خطابا تلو خطاب ليُعرِب عن سعادته بكل تلك الانجازات ومباركته لها. وبينما اتخذ وكيل المجلس الملي موقف العداء وإعلان الحرب ضد أبونا متى بشكل سافر وعنيف، كان معظم أعضاء المجلس يؤيدون أبونا متى في مواقفه. ومع ذلك كان الصوت المرتفع للسيد وكيل المجلس مؤثرا في إحداث المشاكل التي استمرت طوال فترة تواجد الأب متى المسكين بالإسكندرية.

كانت المشكلة الثانية التي أحدثت فرقعة أكبر وصوت أعلي هي صوت أثرياء الكهنة!!! تعجب أبونا متى من الفرق الضخم في مرتبات الكهنة

وحاول أن يضع نظاماً يقلل الفرق بين الحد الأدنى والحد الأعلى لمرتبات الكهنة بحيث أن يحفظ للكاهن كرامته. وبحسب دخول الكنائس في ذلك الوقت وضع حدا أدنى لمرتب الكاهن 30 جنيه في وقت كان خرِّيج الجامعة يبدأ بمرتب 12 جنيه في الشهر. كما حاول أن يجعل كل الخدمات الكنسية مجانية... وهنا قامت ثائرة الكهنة وقاموا بإرسال آلاف البرقيات الاحتجاجية للبابا في القاهرة يطالبون بتغيير الأب الوكيل....

كان هناك عجزا شديدا بالإسكندرية في الخُدَّام، كما كانت كنائس الإسكندرية في ذلك الوقت قليلة جدا ومتباعدة وغير كافية لأعداد المصلين، التي تضاعفت عدة مرات، خصوصا بعد النهضة الروحية الضخمة التي أحدثها الأب متى المسكين. فقبل حضور ابونا متى للإسكندرية كان كثير من الأقباط لا يزور الكنيسة إلا في المناسبات. بعد ثورة 1952 انتهز الأقباط استتباب الأمن وفرصة حرية بناء الكنائس، وتوقف حرقها، فقاموا ببناء عدة كنائس في الإسكندرية حسب الاحتياج الشديد، لكن الكنائس الجديدة كانت بلا كاهن. لذلك فكر أبونا الوكيل في رسامة كهنة جدد. والعجيب أن السيد فؤاد جرجس وكيل المجلس الملي كان يعمل على وضع العراقيل لتعويق وتعطيل إي رسامة جديدة ومعه كهنة الإسكندرية الكبار، فكانوا دائمي الاعتراض على أي عمل إصلاحي يحاول أبونا متى القيام به .

أبونا بولس بولس كاهن دمنهور الشهير ومؤسس مدارس أحد الجيزة، صديق قديم لأبونا متى. لقد كان أبونا متى هو السبب المباشر في رسامته كاهنا بدمنهور. المنصب كان قد عرضه المطران أولا على أبونا متى عدة مرات وبإلحاح لكن لأنه كان يريد الترهب رفض بشدة رسامته كاهنا، ولما زاد إلحاح المطران عليه قدم له صديقه القديم المهندس ظريف عبد الله ليقوم برسامته بدلا منه، فرسمه المطران كاهنا باسم أبونا بولس بولس. كان أبونا بولس يُكثِر التردد على الأب متى المسكين في الإسكندرية ويحاول التعاون معه وتقديم له المساعدات بكل قدرته بحكم الصداقة القديمة. وعندما أبدى أبونا متى رغبته في البحث عن شباب يمكن ترشيحهم للكهنوت، قدم له مرشحا هو الأستاذ مليكة

اسكندر، وهو من خدام مدارس أحد الجيزة الناشطين، وكان يعمل معيدا بكلية العلوم وحاصل على درجة الماجستير ويعد للدكتوراه، وحاصل على دبلوم الكلية الإكليريكية. وأيضا المهندس زغلول عبده حنين مساعد مدير أعمال بالبلدية، وكان حاصلا على دبلوم معهد الخدمة الاجتماعية والكلية الإكليريكية، الذي وجد فيه أبونا متى استعدادا للخدمة، فبدأ يعده للكهنوت ليخدم معه في الكنيسة المرقسية. قام أبونا الوكيل بعمل كل الترتيبات اللازمة لإتمام رسامة الكاهنين. وكلف البابا نيافة الأنبا ثيئوفيلوس رئيس دير السريان ليقوم بالرسامة بالنيابة عنه، وتحدد الموعد في يوم 25 يوليو عام 1954. وبينما كان شعب الإسكندرية في حالة من الفرح الغامر، قام كهنة الإسكندرية بثورة شديدة وأرسلوا آلاف التلغرافات الاحتجاجية كما أرسلوا مندوبين عنهم يطالبون بإيقاف الرسامة. وقبل عشية يوم الرسامة وصل أبونا متى تلغرافا من البابا يطالبه بإيقاف الرسامة. توافد الألوف من الشعب على الكنيسة ليلة الرسامة فكان خبر إيقافها يمثل صدمة شديدة للشعب أضافت الكثير لثورة غضب الشعب ضد الأنبا يوساب ذو السمعة التي شوهتها مجلة مدارس الأحد، لكن أبونا متى عالج الموقف بحكمة، فطلب من الجموع المحتجة الوافدة على الكنيسة أن يقوموا بالصلاة، فتحولت الكنيسة إلى عدد كبير من المجاميع الكل يصلي طالبين حل الأزمة، وفعلا وصل تلغراف آخر من البابا في ساعة متأخرة من الليل يطلب من الأب الوكيل استئناف الرسامة. كان يوما بهيجا لشعب الإسكندرية حين تمت أول رسامة لكاهنين جامعيين بالإسكندرية هما أبونا يوحنا عبده حنين علي الكنيسة المرقسية الكبرى والثاني أبونا مينا اسكندر على كنيسة مار مينا بفليمنج، وكانت واحدة من الكنائس الجديدة التي تم بناؤها لكنها بلا كاهن. حضر الرسامة عدد كبير من قيادات مدارس أحد الجيزة، من بينهم أبونا بولس بولس، وأبونا مكاري السرياني، وأبونا صليب سوريال، وأبونا أنطونيوس أمين، كما حضر الراهب متياس السرياني من الدير خصيصا، إلى جانب أعداد كبيرة من خدام الجيزة الكبار والصغار وسط الحماس الجماهيري البالغ.

منذ أن حضر أبونا متى المسكين إلى الإسكندرية كان هناك حضورا مكثفا لمدارس أحد الجيزة حول أبونا متى الذي كان قد أحرز شعبية كبيرة جدا. وبدأت تلك الشعبية تُأرِّق مدارس أحد الجيزة حيث أنها لا تتماشي مع أهدافهم في تحقيق السيطرة على الكنيسة والمراكز العليا بها. أبونا متى المسكين كان من شباب الجيزة لكنه لم يكن من المجوعة المهيمنة على مجريات الأمور بها، فكان له فلسفته وتفكيره المستقل تماما الذي لا يتفق مع أهدافهم التي تتطلع للسيطرة على الكنيسة من خلال المناصب الكنسية. أبونا بولس بولس بدأ يقترب من أبونا متى منذ اليوم الأول لحضوره للإسكندرية بحكم الصداقة القديمة وقرب دمنهور من الإسكندرية ولكي يستفيد من شعبيته، محاولا أن يُخضِعُه لأهداف وفكر الجيزة. ففي أول زيارة له ليهنئ أبونا متى بالمنصب الجديد قال أبونا بولس له ، "الجيزة ترقب ذلك التغير السريع في مبادئك بسرور حيث تحررت من فكرك القديم وبدأت تقتنع بأهمية بلوغ المناصب الكنسية لتحقيق الإصلاح الكنسي المنشود". لكن أبونا متى رد عليه في تعجب وقال له أنا هنا مجرد منفذ لقرارات البابا بشكل مؤقت منتظرا بفارغ الصبر العودة لمغارتي، فمبادئي لم ولن تتغير.

لم تفلح كل التلميحات والتصريحات في أن توجد مناخا مشتركا للحوار الصريح بين الجيزة وبين أبونا متى المسكين، رغم كل المساعدات التي قدموها له لإنجاح خدمته في الإسكندرية. لذلك رأي أبونا بولس أنه لا بد من حسم الموضوع بصراحة مع أبونا متى حيث أن شعبيته المتنامية أصبحت تهدد بشكل ظاهر أهداف الجيزة وخططهم المدروسة نحو السلطة والسيطرة على لكنيسة، والتي عملوا من أجلها بصبر منذ وقت طويل. وصار هناك تصورا راسخا في الجيزة أن أبونا متى أصبح منافسا خطرا لهم بسبب شعبيته المتنامية، خصوصا منافسته لأبونا مكاري السرياني الذي كانت الجيزة تُرشِّحه وتدفع به ليكون البطريرك القادم، والذي كان ممثلا لمبادئهم. لذلك أرادوا أن يُخضعوا أبونا متى لسياستهم ليعمل معهم وليس ضدهم كما تصوروا. فبعد أن انقضى شهر العسل معهم بعد تواجد أبونا متى بالإسكندرية كان لا بد من وقفة صريحة وقوية معه. حضر أبونا بولس للإسكندرية في لقاء رسمي

وصريح مع الأب متى المسكين الذي فوجئ بحديث لم يخطر على باله ولم يتوقعه يوما ما، فنزل عليه كصاعقة وصدمة عنيفة. من هول الصدمة لم يجد أبونا متى الكلام الذي يستطيع به أن يرد على محدثه السياسي المُحنَّك، وحديثه البعيد تماما خارج السياق وخارج أي حدود لفكر وتصور أبونا متى الرهباني التقليدي -وبحسب ما قاله أبونا متى- لما فقد القدرة على مواجهة الكلام الصعب الخارج عن مبادئه الرهبانية لم يجد أمامه مخرجا سوى أن يقف ويفتح باب مكتبه ليقول لصديقه القديم أبونا بولس انتفضل الزيارة انتهت... وكانت النهاية... أو البداية التي فتحت على أبونا متى كل الآلام والمتاعب حتى نهاية عمره...

خرج أبونا بولس بولس من عند أبونا متى المسكين ولم يعد مرة أخرى، في الوقت الذي كثَّف فيه زياراته للإسكندرية أكثر من الأول في لقاءات متواترة مع كهنة الإسكندرية خصوصا صديقه القديم أبونا ميخائيل سعد أحد المتزعمين للمعركة ضد أبونا متى المسكين. كما كان يجتمع بكل من يعادي أبونا متى، لتنسيق العمل العدائي، لإحباط كل المشاريع التي كان يقوم بها. وبعد حرب مستميتة وجد أبونا متى نفسه عاجزا عن الحراك خاصة بعد أن انضمت مدارس أحد الجيزة لزمرة الأعداء مما شله عن العمل والإنتاج تماما. لكل ذلك قرر أبونا متى ترك ساحة القتال للعودة إلى الدير في مارس عام 1955، إلا أنه فوجئ بعدة خطابات من البابا الأنبا يوساب غاية في الرقة تشجعه وتعلن رفض استقالته وتلزمه بالعودة لاستئناف نشاطه السكندري الذي يتابعه البابا بكل اهتمام وفرح.

عاد أبونا متى للإسكندرية بناء على الضغط من البابا حيث استأنف عمله بنفس النشاط، في نفس الوقت الذي استؤنفت الحرب ضده بأكثر تنظيما وشراسة، وكثر توزيع المنشورات المعادية له على البيوت وفي الكنائس. بمناسبة عيد القيامة قام الأب متى المسكين بطبع رسالة القيامة ووزعها على كل كنائس الإسكندرية، لكنه فوجئ بعد ذلك بتوزيع بيانا معاديا يهاجم ويُسفِّه رسالة العيد، بتاريخ 26 مايو سنة 1955 ممهورا باسم كهنة ووعاظ الإسكندرية يتهمون فيه أبونا متى المسكين بالهرطقة..

بعد استعار لظى الحرب ضد أبونا متى وبلغت الشكاوي المستمرة للأنبا يوساب حدا مقلقا، في الوقت الذي كان فيه الأنبا يوساب نفسه يتعرض لصراع عنيف مع المجلس الملي في القاهرة والمجمع المقدس الذي كان يطالب بعزله. لكل ذلك وصلت رسالة من الأنبا يوساب البطريرك لأبونا متى تطلب منه ترك موقعه بالإسكندرية والعودة إلى الدير من أجل السلام. في لحظة تَسرُع وضيق اتخذ البابا قراره بعودة أبونا متى للدير بسبب كثرة الشكاوي التي تصله بشكل يومي، خصوصا الضغوط الشديدة عليه من مدارس أحد الجيزة. ولم يكن قرار البابا إلا ليتوافق مع رغبة أبونا متى، الذي وجد نفسه غير قادرا على القيام بمهام خدمته أو بأي عمل إصلاحي بسبب الهجوم الشديد عليه لتشويه كل ما يقوم به من أعمال. وتنفيذا لقرار البابا غادر أبونا متى الإسكندرية لآخر مرة في أواخر مايو 1955. عقب ذلك خرجت المظاهرات في الإسكندرية تعلن تمسكها بالأب متى المسكين. وحاول بعد ذلك البابا إرجاعه للإسكندرية إلا أن أبونا متى رفض تماما. وبعد إبعاد الأنبا يوساب عن كرسيه إلى دير المحرق كانت هناك محاولات مكثَّفة من إدارة الكنيسة والدولة الضغط لعودة أبونا متى مرة أخرى للإسكندرية، كما حضرت وفود متتابعة من شعب الإسكندرية إلى الدير. وقرر أعضاء المجلس الملي فصل فؤاد جرجس وكيل المجلس بالإسكندرية. زكريا محي الدين عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية بدء يشعر بالقلق الأمني بالإسكندرية بسبب المظاهرات التي تطالب بعودة أبونا متى، الأمر الذي كان يُشكِّل حساسية شديدة للثورة، فأرسل للدير الوزير القبطي جندي عبد الملك ومعه وفد من المجلس الملي بالقاهرة والإسكندرية وتقابل مع الأب متى المسكين لمحاولة إقناعه بالعدول عن قراره، لكن أبونا متى أصر على موقفه بالرفض لتمسكه بالحياة الرهبانية التي كرس نفسه لها من الأول.

صدرت مجلة مدارس الأحد في عدد يونيو عام 1955 وعرضت تفاصيل الأحداث بالإسكندرية. كما كتب الدكتور وليم سليمان رئيس تحرير المجلة مقالا في عدد أغسطس يرد فيه على المنشور الذي صدر ليتهم أبونا متى بالهرطقة، عرض فيه البيان المُفجع والرد عليه. ومن الغريب أن الكلمات التي أخذوها على أبونا متى لم تكن سوى عبارة

مأخوذة عن رسالة القديس بولس الرسول.. ولم يتنبه الذين أصدروا المنشور أنهم يهاجمون آية من الكتاب المقدس وهي، **"إذا نحن من الآن لا نعرف أحدا حسب الجسد وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد" (2كو 5:16).**

أبونا متى عاد لديره ليعاود استئناف حياة الرهبنة بأكثر حماس، كما كان اهتمامه بقيادة الرهبان وإرشادهم نحو الحياة الرهبانية الفضلى، الأمر الذي كان مكلفا به من رئيس الدير. وبدأ الإقبال على الرهبنة يتزايد من خدام مدارس الأحد. كانت أول مجموعة من ثلاثة رهبان تم رسامتهم يوم 31 يوليو 1955 (هذا التاريخ يحتاج لتحقيق- أعتقد أنه كان في شتاء عام 1965) هم المهندس صموئيل ناشد الذي رسم باسم أبونا كيرلس والثاني رمزي عزوز ورسم باسم ابونا شنودة السرياني والثالث ميخائيل فام وكان طالب بكلية الطب ثم التحق بالإكليريكية وقبل أن يتم دراسته ترهب باسم أبونا داود السرياني. بعد ذلك توالت الرسامات سواء من شباب الإسكندرية الذين كانوا قد تعلقوا بالأب متى المسكين أثناء خدمته منهم أبونا موسى وكان يعمل مهندسا ببلدية الإسكندرية، فقام بأعمال هندسة شهيرة منها النافورة الجميلة. كل من زار دير السريان في ذلك الوقت من مصريين أو أجانب كان يشعر بما بلغته الرهبنة بدير السريان من روعة على يد الأب متى المسكين، فكان الجميع يشعر أن دير السريان يعيش في أبهج وأروع مستوى روحي حتى بلغ لما يماثل رهبانية القرن الرابع الميلادي.

رغم كل ذلك كان هناك من وراء الستار تدبيرا خطيرا يعمل على تدمير الجو الروحي البديع الظاهر أمام الجميع، فلقد انتقلت صراعات الإسكندرية إلى داخل الدير مع عودة أبونا متى المسكين، بسبب ما أحرزه من الشعبية في الإسكندرية. مدارس أحد الجيزة بزعامة أبونا بولس بولس كانت تنظر للشعبية الكبيرة التي أحرزها الأب متى المسكين بالحسد بل، بالفزع والريبة والضيق. كانت مدارس أحد الجيزة بكل قوتهم كأفراد وكجماعة يخطِّطون من وقت بعيد لبلوغ أبونا مكاري السرياني لمنصب البطريرك القادم على كرسي مار مرقس، وكانوا

يُعَوِّلون على ذلك كثيراً في خطتهم للسيطرة على الكنيسة القبطية، ولقد كنت ألمس ذلك من وقت بعيد وكانت لي معهم صولات وجولات قبل رهبنتي. لقد حاول أبونا بولس إقناع أبونا متى بالتعاون معهم ومشاركتهم لأهدافهم على أن يمنحوه أحد المناصب إلا أن كل تلك الخطط السياسية المحكمة كانت خارج السياق وخارج مجال فكر أبونا متى المسكين، الذي كان يسعى لكمال الحياة الرهبانية، وغير مستعد بأي حال مجرد أن يُلوِّث فكره بآمال المناصب الكنسية. فرفض أبونا متى بشكل قاطع حتى مناقشة الفكرة من الأساس.

التخطيط المحكم والآمال السياسية العريضة التي كانت مدارس أحد الجيزة تضعها بكل حُنكة تحت مسمى حركة التكريس والتي بذلوا من أجلها جهودهم الكبيرة. كان أبونا مكاري قد عاد من الولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على درجة الماجستير في الاجتماع بامتياز مع مرتبة الشرف من جامعة برينستون وهي واحدة من أعاظم الجامعات في العالم كما كان قد أحرز على شهرة كبيرة بصلاته بمجلس الكنائس العالمي، بينما كان المسئولين تساورهم الكثير من المخاوف والريبة الشديدة أمام الشعبية المتنامية والتفاف الشعب القبطي في محبة فائقة حول أبونا متى المسكين. عندما كان أبونا متى في الإسكندرية وفي غيبته قام رئيس الدير بتعيين أبونا متياس ربيتة للدير وهو من مدارس أحد الجيرة ومن المقرَّبين من أبونا مكاري السرياني، بل وكانت أهم أهداف ترهبه هو تحقيق المساندة الفعالة له. وبذلك أعلنت الحرب الفعلية داخل الدير ضد أبونا متى بعد أن استحوذ أبونا متياس وأبونا مكاري من قبله ثقة الأنبا ثيئوفيلوس أسقف الدير كاملةً. كان لقاء الأنبا ثيئوفيلوس لأبونا متى عند عودته من الإسكندرية يُعرِب عن تغير كبير جدا وفتور شديد في العلاقات بينهما. حاول أبونا متى تجاهل الأمر في الأول مع استمرار تعامله مع الأسقف بنفس المحبة القديمة كما كانت قبل سفره... إلا أن المشكلة مع الأسقف بدأت تستفحل جدا وتتزايد في كل يوم.

الأنبا ثيئوفيلوس أسقف الدير رجل بسيط جدا ومخلص لديره وللكنيسة، وكان يحمل محبة فائقة للأب متى المسكين قبل سفره للإسكندرية، بل

كان يعتبر نفسه محظوظا لوجود الأب متى المسكين بين رهبانه. كان الأسقف قد بذل مجهودا كبيرا لكي يُحضِر أبونا متى لدير السريان حيث كان سمع عنه الكثير من صديقه أبونا مينا المتوحد رئيس دير الأنبا صموئيل. بعد جهد كبير استطاع أبونا مينا المتوحد أن يُقنع أبونا متى بالقيام بزيارة لأديرة وادي النطرون لأخذ بركة برية شيهات وقديسيها، حيث تأصلت الرهبنة القبطية قديما. في نفس الوقت قام أبونا مينا بالترتيب مع الأنبا ثيؤوفيلوس الذي حضر خصيصا لمصر القديمة وأخذ أبونا متى معه في عربته الجيب إلى الدير بحجة الزيارة. لكن بعد أن أحضره الأسقف فرض عليه البقاء بدير السريان بشيء من الإلزام، ورسمه كاهنا على الدير بالقوة، وكلفه بأن يتولى الإرشاد الروحي لكل رهبان الدير الأمر الذي ضايق أبونا متى جدا وكان أبونا متى يرفضه في الأول، إلا أن إصرار الأسقف اضطره لأن يتولى مسئولية الإرشاد الروحي للرهبان مع سنه الصغير. وعندما نجح الأسقف في إحضاره كان في غاية السعادة. كيف ولماذا تبدل كل ذلك التقدير والمحبة الفائقة التي كان يحملها الأسقف لأبونا متى بعد تجربة الإسكندرية؟!!! إنها النميمة والوشاية المستمرة. كان الوضع في كل يوم يزداد سوءا، فلم يعد الأنبا ثيئوفيلوس يحتمل استمرار وجود أبونا متى في الدير خصوصا تواجده بالمغارة. وكان يرفض له كل طلباته الخاصة بالرهبان من تلاميذه الجدد والعمل على راحتهم وخدمتهم الخدمة الروحية، بل وكان يشجع الرهبان الجدد من أولاد أبونا متى على تركه للاعتراف على رهبان آخرين بالدير. وبعد محاولات كثيرة استمرت لشهور طويلة... وجد أبونا متى ضرورة مفاتحة الأب الأسقف في الأمر بصراحة فليس من المقبول أن تستمر علاقة الأسقف بأحد رهبانه، بل بمن عينه ليكون المرشد الروحي لرهبان الدير كله، تصل لهذا الحد من النفور، الأمر الذي يتعب ويضر بالدير كله.

(4) عودة أبونا متى لدير الأنبا صموئيل

بعد أن تفاقمت المشاكل مع الأسقف لحد لا يحتمل التجاهل، وفي احد أيام يوليو عام 1956 ذهب أبونا متى لأسقف الدير ووجه له سؤالا محددا، "هل تريد مني أن أترك الدير؟" وكانت إجابة رئيس الدير نعم أريدك أن تترك الدير لوحدك وبسرعة. اتفق أبونا متى مع الأسقف أن يغادر الدير سرا دون علم الرهبان وذلك عقب جرس نصف الليل.

رأى أبونا متى ضرورة العودة لديره الأصلي الفقير الذي اختاره لرهبنته من البداية وهو دير الأنبا صموئيل. وحسب الاتفاق مع الأسقف رتب أبونا متى خروجه من الدير عقب جرس نصف الليل، حين وجد باب الدير مفتوحا، فخرج مسرعا حاملا حقيبته، وبدأ المسير نحو الريست هاوس ليستقل أول أوتوبيس للقاهرة. أبونا يوسف الراهب المسئول عن باب الدير رأى أبونا متى وهو خارج حاملا حقيبته فأسرع في الحال ومر على كل قلالي الرهبان ليخبرهم بالخبر، بالرغم من أن أبونا متى عندما رآه وهو خارج نبه عليه ألا يخبر أحدا. كان الرهبان يتوقعون أمرا جللا لا بد أن يحدث بسبب التوتر الشديد المتزايد بين أبونا متى والأسقف. فلم يكن الخبر إلا ليحرك الرهبان الشباب فخرجوا خلفه بملابس النوم، وكنت أنا أنطونيوس أتزعمهم. واحد من الرهبان فقد فردة شبشبه فوصل حافي القدم وهو يلبس فردة شبشب واحدة..

وصلنا عند أبونا مينا المتوحد في مصر القديمة في الصباح، وكان أبونا متى قد سبقنا إليه. فلما رآنا حاول أن يعيدنا لدير السريان، فلما طلب منا الرجوع رفضنا بالإجماع، كنت أنا الراهب أنطونيوس أتصدر الكل في الكلام فقلت له، "إلى من نذهب كلام الحياة الأبدية هو عندك". أبونا مينا المتوحد لما رآنا رفض تماما الفكرة، وإن كان قد وافق بصعوبة على عودة أبونا متى لدير الأنبا صموئيل، لكنه كان يرفض تماما ذهابنا معه حيث أن دير الأنبا صموئيل الفقير المُهدَّم لا يحتمل هذا العدد الكبير من الرهبان، وكنا 12 راهبا. فلا يوجد به قلالي ولا يوجد به وسائل للمعيشة حتى الطعام غير متوفر، ولكن بعد مفاوضات كثيرة استقر الرأي مع

أبونا مينا رئيس دير الأنبا صموئيل على أن نذهب جميعنا ونقوم بتعمير الدير المُهدَّم، وكان ذلك أمرا خياليا حيث لا تتوفر الإمكانيات.

في اليوم التالي يوم الجمعة رحلنا إلى دير الأنبا صموئيل فسافرنا إلى مغاغة ومنها للزوّرة. ثم انتظرنا قافلة الجمال ورحلنا معها فوصلنا الدير يوم السبت قرب الظهر، وكنا في غاية من الإرهاق. استقبلنا رهبان الدير البسطاء بالفرح وقرع الأجراس رغم فقر الدير الشديد، حيث لا توجد به قلالي كافية كما لم تكن تحتمل ميزانيته هذا العدد من الرهبان، فلا يوجد به الحد الأدنى من الحياة اللائقة، مما اضطر بعض من الرهبان الذين أتوا يدفعهم الحماس، إلى أن يقرروا العودة لدير السريان. من هؤلاء الرهبان أبونا لوقا وأبونا داود وأبونا مرقس، وكان الأخير شابا غير متعلم لكنه كان مملوءاً بالروحانية والحماس والحب الشديد.

بخروجنا من دير السريان لم يتبقى به من الرهبان سوى عدد يقل عن أصابع اليد الواحدة. خروج هذا العدد الكبير من رهبان الدير مرة واحدة، شكل أزمة شديدة لأسقف الدير الذي بدأ يشعر بالخطأ، ولكن في نفس الوقت كان ذلك يزيد من الجفوة بينه وبين الأب متى المسكين. أبونا شنودة السرياني بعد رهبنته بوقت قصير أصيب بمرض عضال في العمود الفقري مما اضطره للإقامة بمنزله بشبرا، وكانت هناك محاولات لسفره للخارج للعلاج. بعد خروج الرهبان اتصل الأنبا ثيئوفيلوس بأبونا شنودة حيث أخذ منه وعدا ألا ينضم لأبونا متى وجماعته، وفي الواقع لم تكن حالته الصحية لتسمح له بذلك. كان أبونا متياس يتولى منصب الربيتة في الدير على عدد قليل جدا من الرهبان، وكان هو وأبونا مكاري يحتلان مركز الصدارة والزعامة بالدير ضد أبونا متى المسكين.

عندما وصلنا لدير الأنبا صموئيل وجدنا المباني في حلة مذرية والأسقف التي كانت قد تهدمت مغطاة بفروع الشجر وبعض الأخشاب القديمة بطريقة بدائية جدا لا تمنع الحر أو البرد أو حشرات الصحراء الخطيرة، وكانت العقارب والثعابين تتجول بحرية في الدير. ولم تكن هناك دورات مياه. المشكلة الكبرى في عدم إمكانية نقل مواد البناء من حديد وأسمنت

فلم تكن هناك مواصلات سوى قوافل الجمال حيث لم يكن هناك طريقا صالحا لسير السيارات، ولم نكن نملك المال.

الأسقف الأثرية للدير كانت معمولة بنظام القبو الحجري حيث أن الأحجار متوفرة بالمنطقة. وبفعل عوامل التعرية وعامل الزمن تساقطت الأسقف. أبونا متى بدأ يسأل العرب المحيطين الذين يترددون على الدير عن وسائل وطريقة البناء في المنطقة، وعن إمكانية بناء القبو الحجري القديم، وبعد التحري الدقيق عرف أنه لم يعد هناك من يعرف طريقة وفن بناء القبو الحجري، حيث أن تلك الصنعة قد انقرضت منذ وقت بعيد. ثم عرف أنه كان هناك معلم يجيد هذه الصنعة لكن سنه قد قارب التسعين من العمر لا يسمح له بمزاولة تلك المهنة الصعبة والوقوف لساعات طويلة فوق السقالة. إلى جانب أنه بعد ترك العمل يعيش في محافظة أسوان. أمكن الاتصال بالمعلم عبد الرحيم في بلده وبعد جهد أمكن إحضاره للدير لمقابلة أبونا متى، حيث قدم له عرضا سخيا كما عرض عليه أن يحضر له طاقما من العمال الشباب لمساعدته والعمل بتوجيهاته. وكان الرجل محقا في رفضه بسبب سنه الكبير وقسوة الحياة وصعوبة العمل لكن بتفاهم أبونا متى وبنعمة الله وصلوات القديسين صار الرجل متفاهما لأبعد الحدود وأبدى رغبته بل سعادته للعودة للكار القديم الذي كان قد هجره، بل وكان يبدى استعداده حتى للعمل بدون أجر وبفرح، وبدء في بناء كل الأقبية الحجرية المهدمة، ثم بعد ذلك القيام بالمباني الجديدة المطلوبة لاحتياجات الدير.

بدأنا في تكوين أطقم العمال وقمنا بتوزيع العمل تحت إشراف الرهبان. كانت المرحلة الأولي تتطلب تقطيع الحجارة من الجبل وإحضارها إلى الدير، وكذلك إحضار مواد البناء الضرورية التي كانت تصلنا من المدينة فوق الجمال. وكانت أكبر المشاكل هي عدم توفر المياه للبناء لكن كان الله يحل كل المشاكل بطرق إعجازية لم نكن نستطيع حتى أن نفكر فيها. ووجدنا أناس لا نعرفهم يقدمون لنا المساعدات التي كانت ضرورية لإتمام العمل الكبير. عملية بناء القبو الحجري عملية هندسية فنية جدا تتطلب تقطيع ونحت الأحجار بمقاييس معينة مختلفة حتى يمكن

أن يتم بناء القبو الحجري الذي يغطي المباني. المعلم عبد الرحيم كان فنانا مبدعا يجيد صنعته ويُحبُها لدرجة أننا كنا نسعد برؤية الأقبية وهي تتشكل وتبنى أمامنا. ثم تشجعنا للقيام ببناء دورات المياه ثم قمنا ببناء القلالي الجديدة التي بلغت الثلاثين وهي تزيد جدا عن احتياجنا، وصالة لاستقبال الزوار والطعام. كان العمل يتسع ويمتد ويد الرب ظاهرة تتقدمنا في سير العمل بطريقة لم نكن نستطيع أن نتصورها. المباني الجديدة كانت ترتفع أمامنا فكانت تعطي شعورا روحيا مبهجا جدا وإحساسا مباشرا بالثمر الوفير الذي نرى نتائجه بسرعة. وكان ذلك يشجع الحاج عبد الرحيم على الاستمرار لدرجة أننا كنا نشفق عليه من الجهد الكبير الذي كان يبذله بفرح في هذا السن المتقدم من العمر إلا أن نتائج العمل المبهجة كانت تحفزه على الاستمرار. أنا انطونيوس لم أشهد اكتمال كل العمل حيث كنت قد غادرت الدير قبل ذلك...

أمر آخر هام بدأت أشعر به وأنا في دير الأنبا صموئيل أن الحرب التي تعقبت أبونا متى المسكين من الإسكندرية إلى دير السريان بدأت تتعقبنا في دير الأنبا صموئيل، وذلك في علاقتنا مع أبونا مينا المتوحد رئيس الدير، الذي كان من حين لآخر يظهر ضيقه لوجودنا بدير الأنبا صموئيل، بالرغم من أن أخبار تعمير الدير الذي كان يرأسه كانت تصله، والمفروض أن تلك الأخبار تسبب رضاه وسروره. ولكن في نفس الوقت كانت العلاقة الوطيدة بين أبونا مينا المتوحد ومدارس احد الجيزة وآثارها غير خافية علينا، خصوصا علاقته بالأب مكاري السرياني الخاصة جدا. فمن حين لآخر كانت تهب علينا العواصف وإثارة المشاكل بدون مناسبة، حتى ونحن في مكاننا القسي بعيدا عن العالم كله وما فيه. كانت تلك المشاكل ودوافعها الخبيثة تنغص علينا الحياة لكن أبونا متى كان يحاول أن يتجاوزها بحكمة ويخفف من آثارها الروحية علينا، في الوقت الذي لا يملك تجاهلها إذ كانت تهدد تواجدنا واستمررنا بالدير بعد أن قمنا بتعميره بجهود كبيرة تحت ظروف غاية في الصعوبة وفائقة للتصور.

(5) صراعات مع الأنبا يوساب البطريرك حتى النهاية

مجلة مدارس الأحد منذ أن قامت في عام 1947 كانت أهم أهدافها هو الإصلاح الكنسي وتعرية ونقد الأوضاع الخاطئة بالكنيسة بكل شفافية. وكان من أهم ما ركزت عليه المجلة هو أهمية العودة للقانون الكنسي الذي خالفه ثلاث من البطاركة المتعاقبين الأمر الذي لم يحدث قبلا في كل تاريخ الكنيسة القبطية. كان اهتمام المجلة كبيرا بالقانون الكنسي وتطبيقاته في كافة المجالات للعودة بالكنيسة لسالف عهدها من قوة وروحانية، فكانت المجلة تُركِّز بالأكثر في مقالات متعددة على قوانين انتخاب البطريرك التي أهمل العمل بها في القرن العشرين، بدءً من الأنبا يوأنس البطريرك 113 من بطاركة الإسكندرية. فهو أول البطاركة الذين خالفوا القانون الكنسي الذي يمنع اختيار البطريرك من بين الأساقفة الأمر الذي تمسك به الأقباط بكل دقة عبر تاريخهم المجيد. لم يخلُ عددا من المجلة منذ أن ظهرت في عام 1947 إلا وطرح الموضوع على الأقل في مقال أو أكثر، بل خُصِّصت بعض أعداد المجلة لهذا الموضوع. كل ذلك شكَّل ضغطا نفسيا كان بالضرورة موجها لشخص الأنبا يوساب البطريرك، الذي كان ثالث البطاركة الذين خالفوا القانون الكنسي بقبوله الترشيح لمنصب البطريرك، وهو يحمل درجة الأسقفية حيث كان مطرانا لجرجا. وتم انتخابه في ظروف غير طبيعية ضد رغبة أغلبية النخبة المثقفة من الشعب. لم تكن مشكلة قوانين انتخاب البطريرك هي الموضوع الوحيد لنقد الإدارة الكنسية بل تناولت المجلة مفاسد تلميذ البطريرك والحاشية المحيطة به، والرشاوي التي كان يتقاضاها تلميذه الفاسد. لم تكن كل المقالات المطروحة تُعبِّر عن واقع ولكن في مثل هذه الظروف من الطبيعي أن تكون هناك بعض المبالغات بسبب حماس الشباب والشعور الثوري لتلك الأيام. ومما لا شك فيه أن تلك المقالات كان لها تأثيرا شعبيا ضاغطا يلهب المشاعر ويحرك العواطف، مما تسبب في النهاية الدرامية المؤلمة التي أطاحت بالأنبا يوساب، فتم تنحيته من منصبه كبطريرك وإبعاده إلى الدير. لم يكن الأنبا يوساب بهذه الدرجة من السوء، فكانت له من الأعمال الجليلة التي تميز عصره بالإنتاج الكبير في شتى المجالات والإصلاح التعليمي

مع مساحة حرية الرأي التي أتاحها والحرية في العمل في جميع المجالات مما جعل عصره من أكثر العصور نشاطا وإنتاجا.

لم تكن مدارس الأحد ومِجلَّتها هي المصدر الوحيد لمتاعب الأنبا يوساب، فمنذ أن وطأت قدماه الدار البطريركية في 26 مايو عام 1946 وهو يواجه المشاكل الضخمة والمتاعب الجمة من كل جانب سواء على الصعيد الكنسي أو الصعيد السياسي المشتعل ثورة.

فعلى الصعيد السياسي والقومي كانت الحرب العالمية قد انتهت، والعالم تسوده مشاعر الغضب الشديد، والثورة على تلك الجريمة الشنعاء التي تتمثل في الحرب العالمية الثانية، وما أحدثته من دمار وخراب. كانت حجم المعاناة ضخمة جدا بسبب ويلات الحرب وآثارها المُخرِّبة في جميع المجالات على المستوى الإنساني والاجتماعي والاقتصادي العالمي والمحلي. أما في مصر حيث كانت وطأة المعاناة وآثارها شديدة جدا على كل الناس، بسبب وضع كل مصادر الإنتاج المصري الزراعية والصناعية تحت سيطرة قوات الاحتلال البريطاني خلال فترة الحرب، فكانت الأسبقية الأولى للمجهود الحربي، بينما كان الشعب يتلقى الفتات الساقطة من مائدة أربابها من قوات جيش الاحتلال البريطاني، والتي كانت توزع بالبطاقات بما لا يكفي لحاجة البيت. وما أن سكنت أخبار الحرب الطاحنة وهدير المدفعية المضادة للطائرات التي كانت تفزع هجعة الليل في القاهرة والإسكندرية فتحيله لجحيم حتى كانت المشاعر ملتهبة. كل ذلك جعل عام 1946 هو عام التغيير الذي تفجر فيه الشعور الوطني الثوري في أنحاء مصر كلها ضد قوات الاحتلال البريطاني مطالبين بالجلاء التام أو الموت الزؤام. فحدثت مصادمات ضخمة بين قوى الشعب والشباب الثائر منهم، مع قوات الاحتلال التي كانت تواجه المتظاهرين بالرصاص الحي مما نتج عنه الكثير من القتلى والجرحى.

في ذلك العام بدأت كل المنظمات السياسية والأحزاب في شحذ الهمم لتجديد أنشطتها. الإخوان المسلمون والشيوعيون كانا يتقدمان كل القوى السياسية. وكان كل منهما مدعوم من قوات الاحتلال البريطانية لإشغال

الشعب وإنهاكه وتفتيته، وإثارة الفتن بكل أنواعها، حتى ينشغل الشعب عن المطلب المُلِّح وهو جلاء قوات الاحتلال البريطاني عن مصر. طريقة المستعمر القديمة الحديثة هي دعم القوى المتعادية بغض النظر عن أيديولوجية تلك القوى، المهم أن تنشأ صراعات عنيفة لتنهك وتستنزف قوى الشعب في اتجاهات متعادية سواء دينية أو سياسية.

الإخوان المسلمون كانوا يعادون الوطنية المصرية بشكل معلن تحت شعارات إسلامية، فكانت دعوتهم للوحدة الإسلامية ضد وحدة الشعب المصري، وذلك للعمل على تفتيت الوطنية المصرية مع نشر التعصب الديني لخدمة الاستعمار البريطاني. ويعتبر عام 1946 هو العام الحاسم الذي بدأ فيه التعصب الديني يتفشى بشكل مخيف في الجامعات المصرية ثم ينتشر منها إلى كل مناحي الحياة المصرية. بدأ يظهر الزعماء السياسيون للإخوان المسلمين في جامعة فؤاد الأول بالقاهرة. وجامعة فاروق بالإسكندرية والتي قامت من بدايتها على التعصب الديني. ظهر مصطفى مؤمن زعيم الإخوان المسلمين للطلبة في كلية الطب حيث بدء يبذر النشاط الإخواني الإجرامي في الجامعة والمدارس الثانوية، ويُنظِّم الزعامات بكل مدرسة. ومع ذلك النشاط بدأت أعمال الإرهاب والاغتيالات السياسية ووضع القنابل في المباني العامة حتى في المدارس لنشر الرعب. كان ذلك مؤثرا جدا على الأقباط في مصر ليضيف عبئا إضافيا على كاهل البطريرك الجديد. وكانت المشكلة الكبرى أن الملك بنفسه كان يدعم الإخوان المسلمين ضد الوطنية المصرية التي كان يخشى منها جدا. ربى الملك ذقنه وقام علماء الأزهر بتنسيبه للنبي محمد. وظهر طابع بريدي للملك فاروق وله ذقن كثيرة الشبه بذقن حسن البنا نفسه. كان الملك كان يبغض الإنجليز الذين أذلوه جدا في فترة الحرب العالمية، إلا انه كان يعتبر الإخوان المسلمين هم سنده ضد الشعب المصري، حين كان يشهد المجتمع المصري حالة ثورية متفجرة ضده. كما كان يعتمد الملك أيضا على حزب مصر الفتاة، بينما كان يناصب العداء للشيوعيين وللوفد الذي كان هو حزب الشعب.

أما الشيوعيون فكانت دعوتهم تستهدف وحدة البلوريتاريا (طبقة العمال والفلاحين) من كل شعوب العالم، فكان عملهم خارج سياق الوطنية المصرية، مما يخدم أهداف الاستعمار البريطاني في جذب الانتباه بعيدا عن الولاء للوطن. في نفس الوقت كان عداءهم الشديد للإخوان المسلمين والحرب المستعرة بينهما يقسم المصريين، ويعمل على تفتيت القوى الوطنية المتمثلة في حزب الوفد، الذي كان وحده بين الأحزاب يمثل الوطنية المصرية. بدأ يدب النشاط في الأحزاب الشيوعية السرية تحت الأرض، فتنوعت وانقسمت وكان هدف انقسامها هو تفتيت العمل الوطني المصري. كان اليهود يقودون الأحزاب الشيوعية مع قلة من المصرين من تلاميذهم. ومن أمثال تلك القيادات هنري كوريال وأخوه بوصيري كوريال صاحب بنك بوصيري، الذي كان يغدق الأموال لنشر الشيوعية. واشتهرت أسماء أخرى من قادة الأحزاب الشيوعية المتعددة من أمثال مارسيل اسرائيل، هليل شوارتز، يوسف درويش، ريمون دويك، أوديت حزان وزوجها سيدني سلامون. وتشكلت الطليعة الشعبية للتحرر عام 1946 وظهرت الخلايا الشيوعية بتنظيماتها المتعددة. وكان كل ذلك أيضا يُعِّد لظهور دولة إسرائيل وحرب عام 1948. الشيوعية في مصر كانت تتبع للحزب الشيوعي البريطاني، حين كانت الشيوعية الروسية مُنغلِقة خلف الستار الحديدي. ولقد اجتذبت الأحزاب الشيوعية الكثير من الوطنيين المخلصين بل كانت ملجأ لهم. الأحزاب الشيوعية شكلت ضغطا رهيبا على الكنيسة حيث انضم لها الكثير من المسيحيين من أعلى مستوى علمي في مصر، فكان قسم الرياضة البحتة بكلية العلوم معقلا للشيوعية، وكذلك كان بكلية الهندسة ركيزة قوية لها. لما كانت الشيوعية هي العدو اللدود للإخوان المسلمين اجتذبت الكثير من المفكرين ورجال العلم الأحرار وصفوة المثقفين الذين كانوا قد بلغوا ذروة الضيق والرفض لفساد الملك وبطانته من الإخوان وجرائم الاستعمار ضد شعب مطحون. الضغط الشيوعي شكل على الكنيسة عبئا كبيرا في ذلك الوقت ولولا حركة مدارس الأحد التي كانت تمتص الكثير من ذلك الضغط لما كانت الكنيسة استطاعت أن تواجه الشيوعية ونشرها للإلحاد مما كان يسبب مشكلة كبيرة للكنيسة. وكان ذلك من دواعي اهتمام الأنبا يوساب بالتعليم وبمدارس الأحد ودعمه لها بكل قوته.

أما حزب الوفد في ذلك الوقت فكان قد تصدع تماما بسبب التفكك الداخلي والتشرذم بعد أن تركه مكرم عبيد باشا وتابعيه الذي كان يعتبر أكبر قوة داعمة للفكر الوطني التقدمي الحر بحزب للوفد. كان خروج مكرم عبيد من الحزب مقترنا بتسلل ثلاث عائلات إقطاعية دخلت الحزب فأحدثت به تغييرا جوهريا دمرته من الداخل. عائلات الوكيل بعد زواج النحاس باشا من زينب الوكيل، وعائلة البدراوي عاشور، ثم عائلة سراج الدين والتي أحدثت صدعا ضخما بالحزب، فلم تقم له قائمة من بعدها. رغم أن عائلة سراج الدين الإقطاعية تتميز بالتعصب الديني الشديد إلا أن فؤاد سراج الدين استطاع أن يتسلل إلى الحزب بخداعه لمكرم عبيد. لم يكن مكرم يُفرِّق بين قبطي ومسلم في العمل الوطني فخبرته الوطنية العريقة علمته أن في وحدة الشعب المصري تكمن قوته. فؤاد سراج الدين شاب تبدو عليه كل سمات الوطنية عرف كيف يقنع مكرم بشخصيته، فاحتضنه وبدأ يُدرِّبه ويدفعه للمناصب السياسية والترشح لمجلس النواب. ولما تمكن فؤاد سراج الدين وثبَّت قدميه في الحزب تحالف مع عائلة الوكيل ليزيح مكرم عبيد من الحزب. ونجح في تحالفه الذي باركه الملك ورجاله لتدمير حزب الوفد، ففقد الكثير من الوطنيين عند إقصاء مكرم عبيد في عام 1942. وبذلك ضاع الحزب الوطني الوحيد في مصر الذي كان يحتضن الأقباط. وكان ذلك واضحا من ترشيحات الحزب للاقباط في مجلس النواب حيث هبط عدد المرشحين الأقباط من 30 مرشحا إلى 7 مرشحين فقط في آخر انتخابات برلمانية. ولم يكن هناك حزب آخر في مصر يُرشَّح أي قبطي سوى حزب الوفد. كل ذلك كان سببا في رحيل صفوة المثقفين الأحرار إلى الأحزاب الشيوعية التي كانت تعمل في خلايا تحت الأرض.

حزب مصر الفتاة الذي كان يتحالف مع الإخوان المسلمين كان له نشاطا مزعجا على الساحة السياسية المصرية. هذا الحزب كان يعتبر واحدا من ثلاثة أحزاب إرهابية على مستوى دولي؛ كان أخطرها حزب تركيا الفتاة، ثم حزب اليونان الفتاة، وحزب مصر الفتاة، وكلهم ينتمون لنشاط صهيوني ألماني. حزب تركيا الفتاة هو الذي دمر تركيا بتحالفها مع

ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وهو الذي قام بمذبحة الأرمن والسريان في خدمة الصهيونية الألمانية. وبعد أن حقق مهمته في تدمير الدولة العثمانية تنكر للإسلام تماما، وظهر كحزب علماني يدعو للدولة المدنية، في شخص كمال أتاتورك، الذي مجده الإعلام العالمي بشكل مبالغ، ليتجاهل المذابح المُروِّعة للأرمن والسريان. حزب مصر الفتاة كانت له صلات خطيرة مع النازية الهتلرية أثناء الحرب العالمية الثانية مما هدد القوات البريطانية أثناء معارك شمال أفريقيا، فتم القبض على علي ماهر باشا وعزيز باشا المصري قائد القوات الجوية عندما كانا يحاولان الهرب بطائرة عسكرية للقاء قوات رومل. ولما كان الملك يدعم حزب مصر الفتاة الذي تحالف مع الإخوان المسلمين، على أساس أن النازي أفضل من الاحتلال البريطاني، فقامت القوات البريطانية بمحاصرة قصر عابدين يوم 4 فبراير عام 1942وأجبرت الملك بالقوة المسلحة على تعيين مصطفى النحاس باشا رئيسا للوزراء. لم تكن القوات البريطانية على علاقة طيبة بحزب الوفد ولا بالنحاس الذي يمثل الوطنية المصرية، لكن بريطانيا كانت في موقف غاية من الحرج أمام رومل في معركة العالمين بينما كان كل العمل السياسي في مصر في أيادي خونة انتهزوا فرصة ورطة الإنجليز للمزايدة لمن يدفع أكثر خصوصا الإخوان المسلمين الذين ابدوا الاستعداد للتعاون مع الألمان. لم تجد بريطانيا بدا من التعاون مع الوفد الذي كان الوحيد الذي يتميز بالنزاهة الشديدة والشرف والترفع عن الدنايا. كان تعاونا مؤقتا للمصلحة لحين الانتهاء من معركة العالمين. ومع ذلك استغلت كل الأحزاب العميلة الفرصة للتشهير بحزب الوفد، والتشكيك في وطنيته، بادعاء أنه عميل للإنجليز خصوصا حزب مصر الفتاة. بعد حريق القاهرة في يناير عام 1952 كانت الشبهات تحوم حول حزب مصر الفتاة تتهم الحزب بأنه كان وراء الحريق، حيث شوهد أحمد حسين رئيس الحزب وهو يجول في شوارع القاهرة في عربة مكشوفة يشجع على الحريق.

بعد الحرب العالمية بدأ الإخوان نشاطهم الإرهابي في تزايد بالتعاون مع حزب مصر الفتاة، ينشرون التعصب الديني بكل استفزاز لمشاعر المسيحيين، كما قاموا بترويع الآمنين بالاغتيالات السياسية التي شاعت

بشكل غاية في الإزعاج وإثارة الهلع في مصر. وقام الشيوعيون بمحاربتهم وصارت الجامعتان والمدارس مجالا للسجال والحرب بينهما حيث كانا كلا الطرفين يستخدمان الكرابيج وكل وسائل العنف. بدأ الإخوان في توزيع الأسلحة النارية التي تزايدت جدا بعد حرب فلسطين حين صرح لهم الملك باستيراد الأسلحة والذخيرة والمفرقعات بشكل مباشر وكانت لهم مخازنهم ومعاقل تدريبهم في المغارات بجبل المقطم. وبدأ انتشار المسدسات بين الطلبة. قام الإخوان المسلمون بوضع علامة صليب أسود في مدخل المنازل التي بها مسيحيين وتحت الصليب رقما يمثل عدد الأفراد المسيحيين بكل منزل المطلوب قتلهم. كان ذلك يثير الفزع بين الأقباط المنتظرين في أي لحظة الذبح. والخطورة كانت تتمثل في أن الملك بنفسه كان يدعم الإخوان المسلمين بكل قوة. كل ذلك كان يضغط على البابا المثقل بالمسئوليات والهموم.

ولحسن الحظ أن اكتشفت مؤامرة ثبت فيها بالدليل أن الإخوان المسلمين كانت لديهم خطة لقلب نظام الحكم والإطاحة بالملك فاروق بالتعاون مع الإنجليز. واكتشفت الخطة في وقت مناسب، فانقلب الملك عليهم ودبر قتل حسن البنا، ثم أغلق الجماعة، وعمل عليها حظرا، فصارت تعرف بالجماعة المحظورة. إلا أن النشاط الإجرامي للجماعة لم يتوقف بل كان يعمل سرا تحت الأرض بضراوة. ولعل أكثر الأحداث التي أثارت البابا الأنبا يوساب، كان حرق كنيسة الزقازيق ثم كنيسة السويس التي قام بها الإخوان المسلمون في يوم عيد الميلاد 7 يناير عام 1952، والتي كانت تتمثل فيها البشاعة والوحشية الشديدة. قام الإخوان بسحل كاهن الكنيسة في شوارع السويس، وقاموا بحرق عدد من الأقباط أحياء وتعليقهم في الشوارع ثم أخذوا الجثث للكنيسة وأشعلوا بها النيران بما فيها من بشر فدمرت الكنيسة تماما. وقف البابا في ذلك اليوم بمنتهى القوة والحزم، فأصدر بيانا ناريا، قام الملك بالرد عليه بعد ساعات قليلة حيث قدم اعتذاره للبابا وللشعب القبطي، وتعهد ببناء الكنيسة علي حساب الدولة. ورد عليه البابا برفض الاعتذار ورفض أي أموال لبناء الكنيسة، وطالب الملك بسرعة ضبط الجناة والتحقيق معهم وأن البابا سيتابع بنفسه

التحقيقات. وخرجت المظاهرات من الكنائس تشجب الأعمال الإجرامية للإخوان المسلمين.

وقام جمال عبد الناصر بالثورة في عام 1952 حين توقفت كل أعمال العنف والإرهاب. وبدأ أعضاء مجلس قيادة الثورة في المشاركة في الاحتفالات والأعياد المسيحية لأول مرة، ووضع حجر الأساس وافتتاح الكنائس الجديدة، وشارك محمد نجيب بنفسه في ذلك. وبدأ بناء عدد كبير من الكنائس التي كانت موقوفة، وفتحت الكنائس المغلقة وبدأت روح جديدة من التآلف والمحبة بين المسلمين والأقباط. واتضح ذلك في الإعلام والصحافة التي تغيرت وتميزت بروح التحضر مع التفاؤل بالعصر الجديد. كانت الثورة في بدايتها تُهادن جميع الاتجاهات، وتعمل بقوة على استتباب الأمن والأمان وفرض النظام والقانون بعد سنوات من الفوضى العارمة خصوصا في الجامعات والمدارس. وبقدر ما هادنت الإخوان المسلمين بقدر ما حققت الأمن وعودة السلام.

كل المشاكل السياسية من خارج الكنيسة كانت تُشكِّل جزءا من متاعب الأنبا يوساب، حيث كانت المشاكل الداخلية تُمثِّل الجزء الآخر الأكبر. كان الأنبا يوساب قد تسلم إرثا ضخما من المشاكل الثقيلة عن سلفه الأنبا مكاريوس الثالث البطريرك والتي لم يحتملها، فقضى البابا الراحل معظم زمان بطريركيته القصير بالدير حتى انتقل من هذا العالم باكيا حزينا. المشاكل التي كان يثيرها وكيل المجلس الملي الدكتور إبراهيم فهمي المنياوي باشا المتحالف مع الإيغومانس إبراهيم لوقا بسبب الأوقاف القبطية، وبسبب حب السيطرة على الكنيسة. فكانت تشكل عبئا ثقيلا على البطريرك، سواء الأنبا مكاريوس أو الأنبا يوساب. الدكتور المنياوي وشريكه كان يسيطران على الانتخابات البطريركية، فهما اللذان قاما بعمل الدعاية وفرض بطريركا مخالفا للقانون الكنسي عن عمد، حتى يظل تحت سيطرتهما يعبثان به طول فترة وجوده فوق كرسيه. ويقومان بتهديده وإذلاله والاستعلاء عليه حيث أنهما فرضاه على الكنيسة دون استحقاقه للمنصب. وبذلك كانا يُشكلان معا عبئاً أرهق البطريركية والشعب القبطي جدا. وبعد جهد كبير نجح الأنبا يوساب في السيطرة

على الموقف فأبعد الإيغومانس إبراهيم لوقا أولا ثم الدكتور المنياوي عن المجلس الملي. كما قام بشلح القمص سرجيوس الذي كان متخصصا في شن هجومه العنيف بأسلوبه اللاذع ضد البطاركة. وقد أيد هذا الشلح الأنبا كيرلس السادس فيما بعد. وبالرغم من نجاح الأنبا يوساب في الوقوف بقوة وحزم أمام المشاكل الخارجية والداخلية العنيفة إلا أنه لم يستطع أن يواجه مدارس الأحد بنفس القوة. كان الأنبا يوساب يؤمن بمدارس الأحد ويثق في شخص الأرشدياكون حبيب جرجس وعظمته وقداسته، لكن المتاعب لم تكن تأتي من جانب حبيب جرجس. لذلك كان الأنبا يوساب يدعم مدارس الأحد بكل قوته، وليس أدل على ذلك من اختياره للأب متى المسكين ليكون وكيلا عنه في إدارة كنائس الإسكندرية. ولا شك أيضا من أن ما كتبته مجلة مدارس الأحد ضد الأنبا يوساب كان يهدف إلى الإصلاح الكنسي وكان معروضا بشكل يتسم بالموضوعية معززا بالقانون الكنسي والكتاب المقدس مما يصعب مواجهته. لكن المجلة كانت تشن بعض الحملات العنيفة غير العادلة التي كانت تأتي من جانب مدارس أحد الجيزة أو من كتابات بعض المتحمسين والمنحازين للقانون الكنسي. البابا وقف من كل هجوم المجلة عليه موقف المتجاهل بينما كان يدعم مدارس الأحد وجهدها التعليمي بكل قوته، وذلك كان سببا في إضعاف الأنبا يوساب جدا الأمر الذي انتهى بعزله من كرسيه.

من مفارقات القدر الغريبة أنه بعد أسبوعا واحدا من رهبنتي، كان هناك حدثين هامين في الكنيسة القبطية، أحدهما في الإسكندرية برسامة اثنين من الكهنة الجامعين لأول مرة كما سبق وذكرت. أما الحدث الثاني الصعب فقد تم في مساء نفس اليوم. إنها محاولة خطف الأنبا يوساب تحت تهديد السلاح وإرغامه على التخلي عن منصبه.

إبراهيم هلال شاب مغامر بل متهور، عندما تخرج من كلية الحقوق كان سنه 19 سنة فقط. كان إبراهيم يسعى للشهرة بأي شكل، فبدأ تنظيما إرهابيا عنصريا على شاكلة الإخوان المسلمين وبنفس تنظيمهم. رفع كل شعارات الإخوان المسلمين مع استبدال الإسلام بالمسيحية، والأمة

الإسلامية استبدلها بالأمة القبطية. وكان ينادي بالدولة القبطية وعودة اللغة القبطية. وجمع حوله عددا من الشباب المتعصب المتهور. لقد قابلت أنا (نظير) هذا الشاب مرات في مناسبات واجتماعات مختلفة، حين كان يثير التساؤلات حول وضع الأنبا يوساب المخالف للقوانين الكنيسة. وكان يردد ما ندعو له من إصلاح كنسي. لكني لم أكن لأتصور أن يتطور به الأمر فيرتكب تلك الجريمة الشنعاء بمحاولة خطف البابا الأنبا يوساب من مقره بهذا الأسلوب الإرهابي المُفزع.

ظهر هذا الشاب المتهور بتنظيمه الإجرامي في وقت كان المجتمع القبطي يزخر بالمثقفين والعلماء ورجال الفكر. كما كانت قيادة الكنيسة بها مطارنة وأساقفة أقوياء الشكيمة وحكماء يتصفون بالقداسة والنزاهة والسمعة الطيِّبة من أمثال الأنبا أغابيوس مطران ديروط الوقور الهادئ فأشاد المسلمون به قبل المسيحيين، والأنبا أثناسيوس مطران بني سويف الرجل المهيب الذي كان عبد الناصر يكن له كل تقدير. والأنبا بنيامين مطران المنوفية الذي يشتهر بالروحانية والقداسة، والأنبا ميخائيل مطران أسيوط القوي الحكيم. في وسط هؤلاء العمالقة يقوم شاب تافه بمغامرة غاية في التهور والنزق مُدَّعيا أنه يخدم الكنيسة العاجزة. ويدعي زورا أنه هو الذي عزل البابا!!! فعزل الباب لم يتم إلا بقرار المجمع المقدس بعد أكثر من عام من نزوته المتدنية.

إبراهيم هلال المحامي الشاب الصغير، يقوم بعملية مسرحية إرهابية لعزل البابا الأنبا يوساب مستخدما الإرهاب والسلاح على طريقة الإخوان المسلمين. كانت الدولة في مرحلة المفاوضات مع الإنجليز لتوقيع اتفاقية جلاء القوات البريطانية عن مصر مما يتطلب استقرار الأمن. إلا أن الإخوان المسلمين منذ يناير 1954 كانوا قد غيروا سياستهم من الثورة. منذ أن قامت الثورة كان الإخوان في حالة من الكمون يتطلعون لأي فرصة للسيطرة على قيادة الثورة، وكانت الفرصة متاحة لهم حيث أن بعض الضباط الأحرار كانوا قد تربوا في أحضانهم. لكن بمرور الوقت تبين لهم أن تغيرا جذريا قد حدث في كيان الشعب المصري نفسه فهو لا يمكن أن يعود لحالة الرضوخ التي كان عليها

تحت ذل الملك الفاسد والاستعمار المجرم، فلقد خرج المارد من القمقم. كان كل ذلك واضحا من الكُتَّاب الأحرار والكتب الرائعة حتى الأغاني لتلك الفترة التي اتسمت بالحرية والأمل في عصر جديد مشرق. لم يرتاح الخونة لذلك الوضع الجديد فبدأت المظاهرات في الجامعات محاولين أن يعودوا بمصر لمهزلة الوضع الفوضوي لعصر الملك خصوصا الثلاث سنوات الأخيرة فصاروا يُعرِّضون أمن مصر لهزات عنيفة لخدمة المستعمر البريطاني، الذي كان قد بدأ يرضخ لضربات جمال عبد الناصر القوية. ولما قام عبد الناصر بحل الجماعة للسيطرة عيهم، فبدأ الأمن يستتب، قام إبراهيم هلال بعمليته الإرهابية حتى يُشرك الأقباط مع الإخوان في اختلال الأمن. كان ذلك في وقت الاحتفال بالعيد الثاني للثورة، وفي توقيت غاية في الحساسية السياسية. أكدت كل الظواهر أنه كان لإبراهيم هلال صلات مشبوهة بالإخوان الذين أمدوه بالسلاح ودربوه هو وجماعته للقيام بعمل إرهابي تافه، في وقت تميز فيه المسيحيون بالسلوك الوطني المتحضر البعيد عن العنف. إلا أن ذلك المُغامر أساء بعملته المخجلة لشكل الأقباط الحضاري.

الشاب مع عصابته التي أعطى لها اسم جماعة الأمة القبطية قاموا في ليلة 25 يوليو عام 1954 بالسطو على بطريركية الأقباط الأرثوذكس ومعه قوة مسلحة بلغت لما يقرب من المائة شخص، هم كل جماعته، من شباب متهور يحملون اِلأسلحة النارية، وهاجموا البطريركية مساءاً. فحاصروا مداخل الشوارع المؤدية للبطريركية، ثم قاموا تحت تهديد السلاح بتكبيل حرس البطريركية وسجنهم في غرفة. وبعد أن قاموا بتأمين مداخل البطريركية وبوابة بيت المطارنة المؤدية للشارع، ووضعوا عليها حراسات مسلحة، ثم قاموا باقتحام سكن البطريرك الذي كان نائما في غرفته البسيطة بالدور الثاني، مُشهِرين أسلحتهم فوق رأسه. ثم طالبوه بالتوقيع على وثيقة بالتنازل عن منصبه وإلا أطلقوا عليه الرصاص. بعد أن وقع البابا على الوثيقة اقتادوه مُكبَّلا إلى الشارع بملابس النوم. كانت هناك سيارة تاكسي تنتظرهم (مما يدل على المستوى المتدني) حيث هددوا السائق بالقتل، وكان يحرسه أفراد من العصابة مشهرين سلاحهم عليه. وأركبوا البطريرك التاكسي مع أربعة

من الإرهابيين ووجهوا السائق للمسير حسب طلبهم حيث لم يكن لهم خطة، ثم قرروا الذهاب إلى دير مار جرجس للراهبات بمصر القديمة. وصلوا الدير في الساعة الثالثة صباحا، وطرقوا الباب بطريقة مزعجة وعندما فتحت الراهبة المسئولة البوابة فوجئت بإرهابيين شاهرين أسلحتهم. ولم تطل المواجهة حيث ألقوا بغبطة البطريرك على الأرض وهو مربوط داخل بوابة الدير وهربوا بالتاكسي.

في الصباح انتشر الخبر وسط انزعاج الشعب القبطي. حاصرت الشرطة مبنى البطريركية حيث كان ما زال بالداخل 36 من الإرهابيين يحتلون المبنى. وقامت الشرطة باستحضار سائق التاكسي وأخذوا أقواله وعرفوا منه مكان البطريرك، واطمأن المسئولين على سلامة وصحة البابا. الأنبا ساويرس مطران المنيا اتصل بالشرطة وأبلغهم أن شابا قد حضر إلى دار المطرانية بالمنيا في الساعة الثالثة صباحا ليسلمه خطابا تبين أنه مزورا. الخطاب موجها من الأنبا يوساب يكلف فيه الأنبا ساويرس بالقيام بعمل القائم مقام بطريرك لتنازله عن منصبه. ولما حاول الأنبا ساويرس الاتصال بالقاهرة للتحقق من الخطاب شعر الشاب بحرج موقفه فهرب.

ظل مبنى البطريركية محاصرا لمدة أربعة أيام. فلم تحاول الشرطة اقتحامه حفاظا على الأرواح واحتراما للمكان. وكُلِّف السيد وزير التموين جندي عبد الملك بمفاوضة الشباب حتى أقنعهم بتسليم أنفسهم بدون عنف، فدخلت الشرطة وقبضت عليهم بهدوء.

كان الشعب القبطي في حالة من الذهول أمام حدث إرهابي قام به شباب تافه. فالحدث يُمثِّل عارا غير مسبوق في تاريخ المجتمع القبطي الوقور والمُسالِم. فكان هناك غضبا شعبيا عارما لذلك التصرف الأخرق الذي يُعتقد أن يد الإخوان المسلمين كانت وراءه لإضافة أزمات السياسية ضد جمال عبد الناصر ي وقت حرج، وتشوه صورة الأقباط. فإن تسليح وتدريب وتمويل الشباب أمر كان يدعو للريبة، حين لم يكن الأقباط في مصر بشكل عام يُقبِلون علي التدرب على السلاح أو حتى حوزته.

بدأ التحقيق مع الشباب المقبوض عليهم. وبعد أن استقر البابا في مكتبه أرسل رسالة إلى المحققين يطالب بالعفو عن مختطفيه قال فيها "إنهم أولادي الذين أخطئوا وهو يسامحهم ويطلب العفو عنهم". كان لتلك الرسالة أثرا بالغا على جمال عبد الناصر الذي شعر بتقدير كبير للأنبا يوساب الأمر الذي كان له آثار هامة في كل علاقاته المستقبلية مع الكنيسة. فبينما كان ذلك الحادث سببا في سخط الوزير القبطي على البابا، كان نفس الحادث سببا في إعجاب عبد الناصر بالبابا الذي يُنفَّذ تعاليم الإنجيل بأمانة وتقوى، حتى أنه يطلب العفو عن أفراد جماعة الأمة القبطية الذين رفعوا عليه السلاح وخطفوه بشكل غوغائي إرهابي. فكان يعجب لمسيحي عنده تلك المقدرة على التسامح والمحبة حتى يعفو عن الذين خطفوه وأهانوه لهذه الدرجة، بل وأيضا يطلب من الحكومة العفو عنهم ويقول أنهم أولاده. فصار جمال عبد الناصر يُجِل ويحترم الأنبا يوساب ويُقدِّره. وقد أرسل للباب رسالة تقدير مع الاعتذار عن عدم إمكان تنفيذ رغبته، فالعدل لا بد أن يأخذ مجراه طبقا للقانون. وبسبب إلحاح البابا تم العفو على الكثير منهم، ووقعت عقوبات مخففة جدا على الجناة. لذلك عند قرار نفي البابا للدير المحرق، حاول جمال عبد الناصر إيقافه بكل وسيلة، لكنه فشل أمام الإصرار الشعبي.

مشكلة تلميذ البابا المرتشي الفاسد مِلِك:

كان هناك خادم للبابا اسمه مِلِك وهذا الخادم كان يخدمه من زمن بعيد منذ أن كان الأنبا يوساب مطرانا لجرجا. الأنبا يوساب البطريرك في شيخوخته كان يعاني من أمراض كثيرة مما يضطره الاعتماد على تلميذه مِلِك في كل شيء حتى في ملبسه ومأكله وجلوسه وقيامه. وكان هو الوحيد الذي يأتمنه على نفسه بعد عِشرَة طويلة دامت لما يزيد عن خمسة وثلاثين عاما، فكان يصعب عليه جدا استبداله بأي شخص آخر لما يقوم به من مهام حساسة لخدمة البطريرك العجوز. كان مِلِك يحتكم على كل شيء في سكن البابا بما في ذلك أختام البابا التي كان يوقع بها الخطابات والشيكات. فانتهز الفرصة لعمل ثروة ضخمة من أموال الكنيسة. بدأ ملك يستخدم سلطة البابا في السرقة التي بدأت صغيرة ثم

كبرت تدريجيا حتى تضخمت سرقاته جدا من الأوقاف القبطية، وامتدت لأملاك الإبراشيات خارج مصر مما سبب شكاوى المطارنة المتكررة، وفشلت المحاولات الكثيرة لطرده، لأن البابا كان متمسكا به ولا يستطيع الاستغناء عنه. فبعد طرده يعود مرة أخرى. وفي إحدى المرات بعد أن طُرِد رفع قضية وعاد إلى وظيفته بقرار من مجلس الدولة، حيث فضحت حيثيات الحكم ثروته الطائلة التي نشرتها الصحف. قامت الكثير من الحوارات والاجتماعات للمجمع المقدس والمجلس الملي، وحدثت عدة خصومات ومصالحات مع البابا، وصدرت لكثير من القرارات بخصوصه دون أن يمكن تنفيذها.

آخر حادث لملك كان ابتزاز سبعة آلاف جنيه بالتزوير (تساوي 7 مليون بمقياسنا الآن) من وقف دير الأنبا أنطونيوس، وأرسل خطابا بتوقيع البابا يطالب الأنبا غبريال رئيس الدير تسليمه المبلغ، ولما رفض أرسل خطابا مزوراً بتوقيع الأنبا يوساب بتاريخ 15 أغسطس عام 1955 يعزل فيه الأسقف من رئاسة الدير ومن نظارة الوقف!!!

كانت هذه هي النهاية التي حركت المجمع المقدس، فتقرر الاجتماع يوم 20 سبتمبر عام 1955 في الدار البابوية لبحث الأمر، لكن مِلِك أمر حاشيته أن تغلق الأبواب بالجنازير الحديد في وجه المجمع. فذهب أعضاء المجمع إلى بيت وقف دير الأنبا أنطونيوس المقابل للبطريركية وعقدوا اجتماعهم، وقرروا بالإجماع إعفاء البابا الأنبا يوساب من إدارة شئون الكنيسة. كما قرروا دعوة المجلس الملي للمشاورة في الطرق العملية لتنفيذ القرار. وفي يوم 27 سبتمبر اجتمع المجمع المقدس مع المجلس الملي بالدار البابوية، وأقروا إعفاء البابا من منصبه ونفيه إلى دير المحرق الذي اختاره البابا بنفسه لإقامته. وتم الاتفاق على اختيار ثلاثة مطارنة لإدارة شئون الكنيسة هم الأنبا أغابيوس مطران ديروط، والأنبا ميخائيل مطران أسيوط والأنبا بنيامين مطران المنوفية. ثم أرسل المجمع صورة القرار إلى مجلس الوزراء الذي اعتمده. أعلن جندي عبد الملك وزير التموين أن ذلك القرار كان تنفيذا لرغبة الشعب. وقد صدر

بيان رسمي عن المجمع المقدس بالواقعة كما اجتمعوا مع رؤساء الكنائس بمصر لإعلان الخبر رسميا.

غادر الأنبا يوساب الدار البطريركية صباح يوم السبت الموافق 1 أكتوبر عام 1955 إلى الدير المحرق. بعد رحيل البابا للدير أرسل الإمبراطور هيلاسلاسي احتجاجا شديد اللهجة باعتبار أن الأنبا يوساب هو بطريرك الكنيسة القبطية التي تشمل مصر وأثيوبيا معا، وأنه لم يُأخذ رأي الشعب الأثيوبي في عزله. كانت تربط الأنبا يوساب روابط قوية بأثيوبيا منذ أن كان راهبا حين استصحبه معه الأنبا يوأنس لعلمه ومقدرته اللغوية. ولا شك أنه كانت لحكمته الشديدة في التعامل مع الأثيوبيين الفضل في تقوية الروابط معهم. وقد اشترك مع الأنبا يوأنس في تتويج هيلاسلاسي إمبراطورا على أثوبيا بل وكانت الإمبراطورة زوديتو أم الإمبراطور تُجِل الأنبا يوساب وتعتبره قديسا. استبعاد البابا الأنبا يوساب سبب أزمة سياسية مع الكنيسة الأثيوبية التي هددت بالانفصال، وأرسل الإمبراطور وفدا رسميا قابل أعضاء المجمع المقدس، ثم اجتمع بالبابا في الدير المحرق وحاول الضغط السياسي لإعادة البابا. على أثر ذلك طلب البابا اجتماع المجمع المقدس بالدير لم يحضره سوى قليل من المطارنة الأقباط مع الوفد الأثيوبي، الذين وافقوا على عودة البابا لكرسيه بشرط استبعاد خادمه ملك، ولكن باقي الأساقفة رفضوا عودته. ولما وصل الأنبا يوساب إلى القاهرة يوم 21 يونيو في محاولة للتقابل مع الأساقفة الرافضين عودته، ولما ذهب إلى البطريركية مُنع من الدخول وأغلقت الأبواب بالجنازير الحديد في وجهه، وسط رفض مدارس الأحد عودته. أُعد للبابا جناحا بالمستشفى القبطي فذهب هناك ولم تكف محاولاته للقاء بالأساقفة بدون جدوى.

المحاولات الإثيوبية لعودة البابا كانت تضغط على جمال عبد الناصر في الوقت الذي كان فيه عبد الناصر نفسه يُقدِّر ويُجِل الأنبا يوساب وكان متعاطفا معه، خصوصا بعد طلبه العفو عن جماعة الأمة القبطية الذين رفعوا عليه السلاح وخطفوه بشكل غوغائي إرهابي. كان عبد الناصر يرى أنه من حق الشعب القبطي كله أن يقول رأيه بشكل ديمقراطي في

عزل البابا أو عودته لكرسيه. لهذا الغرض أسقط جمال عبد الناصر المجلس الملي الذي وافق على نفي الأنبا يوساب، وأمر بعمل انتخابات جديدة للمجلس الملي، حتى يأخذ رأي الشعب بشكل ديمقراطي في مسألة عزل البابا. وعلى أثر قرار جمال عبد الناصر، تشكلت جبهة الإصلاح القبطي بدعم مدارس الأحد، واختارت الجبهة 24 مرشحا للمجلس الملي كلهم يرفضون عودة البابا. بينما تشكلت مجموعة أخرى من الأقباط المقربين لجمال عبد الناصر بزعامة عزمي استينو المحامي وأعدت قائمة مماثلة للمرشحين الذين يرفضون نفي البابا ويريدون عودته، وكان هناك عدة مرشحين آخرين مستقلين. أجريت الانتخابات في أغسطس عام 1956 تحت إشراف وزارة الداخلية، وكانت النتيجة هي نجاح كل مرشحي جبهة الإصلاح الـ 24، بينما المرشحين الآخرين بلغ ما حصلوا عليه من أصوات لعشر مرشحي جبهة الإصلاح. وبذلك تقرر استمرار عَزل الأنبا يوساب. نتيجة الانتخابات كانت تُعبر عن شعبية مدارس الأحد ونصرهم ضد رغبة جمال عبد الناصر والوزير كمال رمزي ستينو. تلك الأحداث الجسام على مستوى اشتركت فيه دول تظهر مدى هراء وإدعاءات وأكاذيب جماعة الأمة القبطية في عزل البابا.

كان هناك تحركا واسعا للمطارنة المعارضين لعودة البابا لكرسيه، فقاموا بعمل اجتماعا قرروا فيه، إيفاد ثلاثة مطارنة لمفاوضة أساقفة الصعيد، حيث كان أغلبهم يميل لفكرة عودة البابا لكرسيه. وكانت المفاجأة أن تعرض القطار الذي كان يُقل المطارنة الثلاثة لحادث مُروِّع. فعندما اضطر السائق للتوقف الفجائي دخلت إحدى العربات في مؤخرة العربة التي أمامها، حيث كان يجلس المطارنة الثلاثة، فقتلوا في الحال يوم 23 مارس سنة 1956. والغريب أنه لم تكن هناك أي خسائر في الأرواح ولا حتى جرحى سوى الثلاثة مطارنة، ومنهم الأنبا ياكوبس مطران القدس والأنبا توماس مطران الغربية. وكان لذلك الحادث صوتا مدويا في الوسط القبطي.

في يوم 12 نوفمبر عام 1956 كانت حالة البابا الصحية قد تدهورت جدا، ففقد وعيه. وقرر الأطباء انه في حالة احتضار فأسرعوا بنقله

لمسكنه بالدار البطريركية ليقضى ليلته الأخيرة في المكان الذي سعى للوصول إليه لما يقرب من عام ونصف، لكنه لم يبلغ إليه إلا وهو فاقد الوعي. وانتقل من أرض الأتعاب في اليوم التالي الموافق 13 نوفمبر عام 1956، وتم الاحتفال بوفاته بحسب التقليد الكنسي للبطاركة فأُجلس على كرسيه ليلقي عليه الشعب نظرة الوداع الأخيرة.

بدأ يجول بخاطري سؤال هام؛ هل كان الأنبا يوساب يستوجب العزل بسبب فساد تلميذه السارق والمرتشي؟!!! بعد أن مر الزمان ورأيت بعيني رأسي أنا الراهب أنطونيوس، ذلك العصر الذي كنا نتشدق به، عصر الإصلاح والبعث الجديد الذي كان يحلم به شباب مدارس الأحد عديمي الخبرة. وعندما نزلت لأرض الواقع تبين لي أن السيميونية لم ولا ولن تفارق الكنيسة في أي وقت. وحيث وجدت أموال الكنائس بلا ضابط يوجد يهوذا الإسخريوطي ولن يمكن الاستغناء عن يهوذا أبدا. هل كان السيد المسيح عاجزا عن أن يستبدل يهوذا بآخر؟!!! لو استبدله بآخر كان سيتحول ليهوذا آخر!!! فاكتفى بيهوذا واحد!!! يقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس، "لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (1تي 10:6). عندما حاول أبونا متى المسكين ضبط الأمور المالية في الإسكندرية دخل عش الدبابير، والكهنة هم أكثر من وقف ضده وضيعوه. أليس ذلك هو نفسه السبب الرئيسي لمعارضة الإدارة الكنسية للدولة المدنية؟!!! ولو فُرِض أن أشرفت الدولة على النواحي المالية للكنيسة كما يحدث في كل دول العالم المتحضر، فهل ستتوقف الرشوة؟!!! أرى أن رشوة أجهزة الدولة ستضيف عبئا على ميزانية الكنيسة!!! يندر جدا وجود الكنائس التي تعافت من يهوذا الإسخريوطي، فالنظرية قائمة وتتزايد مع تغلغل الحياة المادية وامتزاجها بالدين.

ويتردد السؤال مدويا في أذني؛ هل كان الأنبا يوساب يستوجب العزل بسبب فساد تلميذه المرتشي؟!!!

(6) انتقال الأنبا يوساب والصراع حول منصب البطريرك

عقب انتقال الأنبا يوساب إلى الحياة الباقية مباشرةً في 13 نوفمبر عام 1956، عقدت اللجنة العليا لمدارس الأحد اجتماعا سريعا حيث تقرر ترشيح ثلاثة من الرهبان الذين ينتمون لمدارس الأحد للكرسي البطريركي خلفا للأنبا يوساب. أبونا متى المسكين كان يتقدم القائمة، الراهب الثاني هو أبونا مكاري السرياني وهو مُرشح الجيزة. وكنت أنا الراهب أنطونيوس المرشح الثالث. كنا جميعا في الثلاثينيات من العمر وكنت أصغرهم حيث لم أبلغ من العمر عامي الـ 33 بينما كان أبونا متى المسكين أكبرنا سنا. كان هناك اتجاه لترشيح الدكتور وهيب عطاالله وكيل الكلية الإكليريكية حيث أن قوانين الكنيسة الأصلية تسمح بل تُحبِّذ ترشيح العلمانيين (أي غير الرهبان كما تسميهم الكنيسة) لرتبة الأسقف والبطريرك، ولكن المشاكل التي حدثت في القرن العشرين منعت ترشيح العلمانيين. كان قد سبق ترشيح الأرشدياكون حبيب جرجس أمام الأنبا يوأنس الذي كان يحمل درجة الأسقفية. وبينما قوانين الكنيسة تسمح بترشيح العلماني للبطريركية، وتمنع ترشيح الأسقف، لكن مع وجود شعب غير واعي بالقانون الكنسي، وبسبب ضغط وإرهاب الملك فؤاد، الذي قام بفرض الأنبا يوأنس على كرسي البطريرك بالقوة، بالمخالفة لقوانين الكنيسة لأول مرة في تاريخ الكنيسة القبطية. استبعد حبيب جرجس بحجة عدم ترشيح العلمانيين للبطريركية مع أنه يحمل رتبة رئيس الشمامسة الأمر الذي يُعتبر خللا إضافيا ضد قوانين الكنيسة. ومنذ ذلك الوقت صارت مخالفة القوانين عرفا يحبذه الجهلة. كان هناك رِأيا بين أعضاء اللجنة العليا لمدارس الأحد بوجوب تحطيم ذلك العرف المخالف للقانون الكنسي بترشيح الدكتور وهيب عطاالله، وفعلا تم توزيع نشرة تعلن ترشيح أربعة من مدارس الأحد لمنصب البطريرك بينهم وهيب، ولكن بعد ذلك رأت مدارس الأحد أن الفرصة لا تسمح بالمغامرة فاكتفت بترشيح ثلاثة من الرهبان.

صدرت مجلة مدارس الأحد عدد ديسمبر عام 1956 تعلن خبر انتقال البابا الأنبا يوساب، كما تعلن في نفس العدد عن ترشيح اللجنة العليا

للرهبان الثلاثة، مع نشر موجزا عن تاريخ كل مرشح. وكان بنفس العدد العديد من المقالات تزف البشرى وتعلن أن الوقت قد حان لتحقيق الآمال الكبيرة في الإصلاح الكنسي، والعودة للقوانين الكنسية الأصلية التي كانت قد أهدرت، وكم جاهدت المجلة منذ نشأتها في المطالبة بالإصلاح الكنسي واستعادة تطبيق القوانين الكنسية المستقيمة الرأي.

كان لهذا الترشيح ردود أفعال متباينة جدا وعنيفة الأثر. الشعب القبطي تلقف الخبر بالفرح والترحاب الشديد متوقعا أن يتحقق ما كان يصبو له من إصلاحات كنسية على يد مدارس الأحد بحسب المطالب الواعدة التي كانت تظهر في كل أعداد مجلة مدارس الأحد، حيث كان شعار البعث الجديد يُطرِب الآذان، وخصوصا ما كانت تنشره المجلة من مقالات غاية في القوة في عام 1956 تُبشَّر الكنيسة وتُعِدَّها روحيا لاستقبال العصر الجديد الذي تؤكد أنه على الأبواب، فكان الشعب كله في انتظار ذلك البعث الجديد على أيدي مرشحي مدارس الأحد للبطريركية.

أما الموقف الحكومي وموقف جمال عبد الناصر بالذات فكان يحمل رد فعل عنيف. لم ينسي جمال عبد الناصر هزيمته أمام مدارس الأحد عندما حاول أن يُنقذ الأنبا يوساب من النفي لدير المحرق، فكان جمال عبد الناصر يُقدِّر ويُجِل الأنبا يوساب. إن فشل محاولاته في إنقاذ البابا من النفي، بسبب شعبية مدارس الأحد، ترك أثرا عميقا فكان يربط بين مدارس الأحد وجماعة الأمة القبطية المتطرفة التي كانت تحمل نفس شعاراتهم ضد الأنبا يوساب، حيث كان يطلق عليها جماعة الإخوان المسيحيين. وكان بين المرشحين الثلاثة رئيس تحرير المجلة التي هاجمت الأنبا يوساب وشاركت بنصيب رئيسي في عزله. لم يقف عبد الناصر مكتوف الأيدي ليأتي بطريرك جديد للكنيسة ينتمي لجماعة إرهابية (حسب اعتقاده). كان الرد على ترشيح مدارس الأحد للثلاثة رهبان أن أصدر جمال عبد الناصر في الحال قرارا جمهوريا بتأجيل انتخابات البطريرك لأجل غير مسمى، وذلك حرصا من الحكومة على حماية ذلك المنصب الروحي الرفيع، من أصحاب المصالح المغامرين الطامعين في المنصب لتطلعات شخصية، وذلك حسب ما جاء بنص القرار الجمهوري

(تقريبا) الذي نشر في الصحف المصرية. كان الكثير من كبار الأقباط يعترضون علي موقف مدارس الأحد المتشدد خصوصا الدكتور كمال رمزي ستينو وزير التموين الذي كان موضع ثقة جمال عبد الناصر وكان يُعتَبَر مستشاره في الشئون القبطية. وقد صرح الوزير مرات أنه كان وراء عدم ترشيح رهبان مدارس الأحد للبطريركية.

في ذلك الوقت كان لجمال عبد الناصر مقرا صيفيا في برج العرب، وكانت مدارس أحد الجيزة قد أقامت بيتا جميلا للشباب في أبي قير أسمته "غصن الزيتون"، لقضاء الأجازات الصيفية. وكان يشرف عليه أبونا صليب سوريال. بعد تلك الصراعات التي انتهت بعزل الأنبا يوساب، إرسال جمال عبد الناصر لهم رسالة مع الدكتور بديع جرجس، وكان من الشخصيات القبطية المرموقة المُقرِّبة من جمال عبد الناصر. وكانت فحوى رسالته لمدارس أحد الجيزة بمناسبة الترشيحات للبطريركية تقول، "أنتم مشكوك في ولائكم للوطن". هذه الرسالة كانت من أسباب ازدياد بغضة مدارس أحد الجيزة لجمال عبد الناصر مما كان لها تأثيرا كبيرا على شعبية عبد الناصر في وسط مدارس الأحد التي امتدت للوسط القبطي كله. في ذلك الوقت، وكان لمدارس أحد الجيزة أثرا نافذا قويا على الرأي العام القبطي.

أما رد الفعل الأكثر عُنفا لترشيح اللجنة العليا لمدارس الأحد للرهبان الثلاثة لمنصب البطريرك، فكان بين المرشحين الثلاثة أنفسهم. كان ترشيح أبونا متى للمنصب بالنسبة لي أنا الراهب أنطونيوس يُشكِّل صدمة كبرى غيَّرت كثيرا من أسلوب تفكيري. لم يكن الترشيح في حد ذاته هو الصدمة إذ كان مُتوقعا، بل كانت الصدمة في موقف أبونا متى، بل بأكثر دقة موقف المحيطين به الذين أبدوا فرحا شديدا بترشيحه وكانوا يهللون للخبر مع عدم إعارة أي اهتمام بترشيحي باعتباري مجرد تلميذ لأبونا متى. هل كنت مخدوعا لهذه الدرجة؟ هل خُدِعت في تصرفات أبونا متى المتعددة التي كانت تؤكد لي كل يوم رفضه التام لأي منصب كنسي حتى منصب البطريرك؟!!! هل أبونا متى خدعني وغشني؟ أم أنا الذي خدعت نفسي، عندما تصورت أنه عندما يرفض

الترشيح لمنصب البطريرك فستكون فرصتي حين يقدمني أنا للمنصب بدلا منه.. كنت قبلا أعتقد أني داهية في السياسة، فإذ بالأيام تثبت أني لم أكن حريصا بالقدر الكافي. لكن ماذا يعنى أن أكن حريصا؟ هل كان يمكني أن أستغن عن تلمذتي لأبونا متى؟ طبعا مستحيل، فأنا لم يكن لدي أي معرفة بالرهبنة قبل أبونا متى، وهو الذي أخذ بيدي في هذا الطريق وقادني بكل محبة واهتمام ورعاية حتى بلغت لما أنا فيه. بل إن كل سمعتي وشهرتي لم أكن لأحرزها لولا وجودي بجوار أبونا متى كتلميذ له، وهو صاحب الشهرة الكبيرة. إذن، لقد كانت كل خطواتي في طريق الرهبنة والتلمذة لأبونا متى ضرورية. فالمشكلة ليست في الطريق الذي سلكته بل في تقديري للأمور. وتبين لي أن أبونا مكاري ومن خلفه كل مدارس احد الجيزة كانوا على وعي سياسي وإدراك جعلهم يقدِّرون الأمور أكثر مني.

على أي الأحوال، كنت أشعر بخيبة أمل شديدة، بل بمرارة خيانة أبونا متى لي. صحيح، لم يكن بيننا أي حوار، أو تعهد حول هذا الموضوع في أي يوم من الأيام.. صحيح، أنا مجرد تلميذ له.. وقد اهتم بي جدا وكان يميزني عن جميع تلاميذه حتى أني تصورت أنه لو عُرِض عليه منصب البابا لكان يرشحني له مقدما لي على نفسه، بدلا من أن يقف منه ذلك الموقف المحايد غير الواضح. لماذا لا وقد كتبت له مقدمة كتابه الأول حتى وأنا علماني؟ لماذا لا؟ فقبل ذلك سلمني الأستاذ إدوارد بنيامين كل ما حققه من أمجاد فوجدت نفسي أبدأ من أعلى السلم. كنت أتصور أن أبونا متى هو إدوارد بنيامين الثاني الذي سيسلمني كرسي البطريرك عندما يُعرض عليه، لكنه لم يفعل... وهل المفروض أن يفعل؟!!! يبدو أنه بتطلعاتي نحو المنصب قد خدعتني أوهامي.

المشكلة أني كُنت المُرشَّح الثالث كما أني مجرد تلميذ لأبونا متى صاحب الشعبية الضخمة.. فمن ذا الذي يُفكر في انتخابي أنا تلميذه؟!!! كان الوضع بين أبونا متي وأبونا مكاري متعادلا وذلك يختلف كثيرا عن موقفي، فأبونا مكاري ليس تلميذا لأبونا متى بل يقف ندا له، حيث له شعبية كبيرة في الجيزة، أما أنا فمجرد احتياطي لأبونا متى. فمن ذا الذي

يترك أبونا متى لينتخبني وهو الأصل.. المشكلة أني تلميذ لأبونا متى أعيش معه في نفس الدير وأأتمر بأوامره كمعلمي ومرشدي. من المحزن أن أري كل من حولي وهم فرحين مهنئين أنفسهم بترشيح أبونا متى، بينما ولا واحد منهم يعطي أدني قيمة لترشيحي.. بل كانوا يتوقعون مني أن أشاركهم شعورهم. إن ذلك الموقف لم يكن هو موقف ورأي الرهبان وحدهم، بل كان يعكس رأي كل من أعرفهم من العلمانيين أحبائي وتلاميذي من خارج الدير، الذين كنت أقدم لهم أبونا متى مرات قائلا، "إن الزمن يجود برجل مثله كل قرون طويلة".. فمن منهم يُفكر في انتخابي بعد كل ما عملته من دعاية لأبونا متى دون قصد مني؟!!!

إنه خائن، خائن.. خانني حتى لو لم يدرك هو ذلك.. أنا أكرهه.. أنا أمقته.. أنا لا أطيق رؤيته... بل لا أحتمل رؤية أي إنسان ينتمي إليه...

أنا أختنق في هذا المكان.. في دير الأنبا صموئيل.. ولم يعد ممكنا إخفاء مشاعري التي أصبحت ظاهرة للجميع.. أصبح الكل ينظر إلى بتعجب لمسلكي الجديد بعد الترشيح.. المكان يلفظني لا بد من أن أغادره.. ولكن كيف؟ وإلى أين أذهب؟.. وماذا يمكن أن أقول لأبرر موقفي؟ وماذا سوف سيقال عني؟

وجدت نفسي أفكر في الدكتور وهيب عطاالله الذي أعرف أنه على خلاف في الفكر مع الأب متى المسكين. كنت قد بذلت جهدا كبيرا للتوفيق بينهما يوما ما، حيث أنهما يمثلان مدرستين فكريتين متعارضتين تماما. الأولى مدرسة قبطية عتيقة لا تقوم على الفكر الآبائي الذي كان محتجبا عن المجتمع القبطي لسنين طويلة، فكانت تلك المدرسة تتمسك بشدة بما تسلمته عبر السنين دون تيقن تماما لمصادر ذلك الفكر. كان يمثل تلك المدرسة الدكتور وهيب عطاالله رغم عبقريته وسعة إطلاعه وعلمه الغزير وحصوله على الدكتوراه من إنجلترا. أما المدرسة الأخرى التي يمثلها أبونا متى فكانت تقوم على فكر آباء الكنيسة، ذلك الفكر الذي كان قد بدأ يأخذ مكانته في وسط كنائس العالم بسبب الدراسات العلمية الحديثة، والذي أشرق من الكنائس الغربية بفكر

أرثوذكسي رفيع وأصيل. إنه الفكر الجديد الذي كان نتاجا للسجال الضخم بين الكاثوليك والبروتستانت إلى أن ظهر شكل من الاتفاق على العودة للفكر المسيحي الأصيل لآباء الكنيسة خلال الخمسة قرون الأولى للمسيحية. ظهر هذا الفكر الجديد في الغرب وكأنه غريبا عن الكنيسة القبطية مع أنه متجذر فيها، وذلك بسبب التأثيرات الدخيلة على الكنيسة القبطية. الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية بدأت بغزو مصر في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، وكانت تهدد الكنيسة القبطية التي كان عليها الحفاظ على وجودها أمام الغزو الغربي. في ذلك الوقت لم تجد الكنيسة من وسيلة للدفاع عن كيانها إلا بالرد على الكاثوليك بفكر البروتستانت الغزاة، والرد على البروتستانت بفكر الكاثوليك الغزاة، ومن خلال ذلك الدفاع تسلل لاهوت العصر الوسيط إلى الكنيسة القبطية دون وعي. في مطلع القرن العشرين صدرت الكثير من الكتب القبطية التي صارت أساسا للتعليم الكنسي القبطي، التي كانت متأثرة باللاهوت الغربي الذي غزى مصر، فتبنته الكنيسة القبطية دون وعي واعتبرته فكرا كنسيا أرثوذكسيا، واستماتت في الدفاع عنه. فعند عودة الغرب للفكر الآبائي الأصيل الذي مصدره الأصلي كنيسة الإسكندرية، وقف منه المدرسيون في الكنيسة القبطية موقف المُعارض. ومن الغريب أن الأنبا يوساب الذي تلقى تعليمه في أثينا رحب بالفكر الجديد في كتاب حياة الصلاة، بينما لم يستسغه العالم الكنسي الكبير الدكتور وهيب عطاالله. كان هذا هو سر الخلاف بين العملاقين الكبيرين أبونا متى المسكين والدكتور وهيب.

كان تفكيري في الدكتور وهيب في ذلك الوقت يحمل اتجاها نفعيا براجماتيا بحتا. فأنا أواجه اتجاهين في غاية من القوة أبونا متى بشعبيته التي لا تقهر وأبونا مكاري ومن خلفه مدارس أحد الجيزة. وبذلك الترشيح وجدت نفسي فجأة أقف وحدي، بل كل من أعرفهم يؤيدون أبونا متى أكثر مما يؤيدونني. لذلك لجأت للدكتور وهيب كقوة ثالثة لا يستهان بها تتعارض مع كلا الاتجاهين، سواء أبونا متى المسكين أو أبونا مكاري السرياني. في نفس الوقت لا يوجد من الدكتور وهيب خطر المنافسة والترشيح للبطريركية. لذلك فكرت بسرعة، وأرسلت له رسالة

مليئة بالمحبة كأستاذي الذي قاد خطواتي الأولى في طريق معرفة المسيح في نفس الوقت كانت رسالتي ممزوجة بالمرارة للموقف الجديد لأبونا متى وترشيحه للبطريركية، وفي ختام رسالتي طلبت منه لو أمكنه الحضور لدير الأنبا صموئيل لتدبر الأمر معا وإرشادي لما ينبغي عمله.

لم تمضى سوى أيام قليلة حين حضر الدكتور وهيب إلى دير الأنبا صموئيل متجشما عناء الطريق الصعب لأول مرة مما يُظْهر مدى محبته واهتمامه بيَّ، وتأثره الشديد بخطابي. كان حضوره مفاجئا للجميع، حيث استقبله الكل بما يليق بمكانته العلمية الكبيرة في الكنيسة. لم يتحدث الدكتور وهيب كثيرا مع أي من الرهبان حتى مع أبونا متى نفسه، لكنه انفرد معي في قلايتي وظللنا نبحث الأمر بكل تفصيل لمدة ثلاثة أيام، فتقرر ضرورة مغادرتي للدير الذي لا أستطيع البقاء فيه بعد كل ما عرضته عليه من ظروف. نصحني الدكتور وهيب بالعودة لدير السريان حيث يثق أن أسقف الدير سيغفر لي خروجي مع أبونا متى، لو أظهرت له شعوري بالخطأ. كما أنه طمأنني من جانب أبونا مكاري السرياني الذي رغم الاختلاف في وجهات النظر فقد كان يحتفظ بعلاقة طيبة معه.

كنت فعلا أخشى من موقف أبونا مكاري خصوصا بعد أن أصبحنا متنافسين بشكل رسمي على البطريركية، لكن في نفس الوقت كنت أقف من أبونا مكاري موقف الند وذلك يختلف تماما عن موقفي كتلميذ لأبونا متى. بعد ثلاثة أيام من الحوار خرج الدكتور وهيب ليعلن قرار مغادرتي لدير الأنبا صموئيل وسط المفاجأة التي أعقدت الألسن، وأذهلت أبونا متى المسكين، حتى انه لم يستطع أن يمنع دموعه من الانهمار.

كان لا بد لي من أن أذكر سببا لقراري الصادم بمغادرة دير الأنبا صموئيل. لم أكن أجد ما أقوله فحديثي الطويل مع الدكتور وهيب لم يكن ليحظى بقبول أو احترام السامعين من الرهبان الذين يعيشون معي ويتابعون كل الأحداث، في نفس الوقت لم أكن أستطيع أن أصرِّح بأسباب تبعد كثيرا عما شرحته للدكتور وهيب، مما وضعني في أكثر المواقف حرجا في حياتي. قلت أن سبب تركي لدير الأنبا صموئيل هو

ترشيح أبونا متى للبطريركية الذي صدمني، فقد ترهبت معه على أساس الاستمرار كراهب ومتوحد إلى النفس الأخير، ولو تم انتخاب أبونا متى بطريركا للكنيسة القبطية فسيكون ذلك مؤثرا على مستقبلي، حين يطلب الاستعانة بي في منصب الأسقف، الأمر الذي أرفضه تماما حيث أريد أن أكون راهبا مدى الحياة. كان واضحا أن السبب الذي ذكرته غير مقنعا لأحد من السامعين، لكنه كان كافيا لإسكات الجميع، فصمتوا حتى خرجت حاملا متاعي، بين ذهول الحاضرين تشيِّعنى العيون بمشاعر المرارة والخيبة والحسرة.

شهران فقط مرَّا عليَّ منذ إعلان اللجنة العليا لمدارس الأحد الترشيح للكرسي البطريركي في أول ديسمبر عام 1956 إلى أن غادرت دير الأنبا صموئيل في أوائل فبراير عام 1957 كانت فترة من أسوأ أيام حياتي، لم أشعر فيها بالاستقرار إلى أن وصلت دير السريان عائدا له مرة أخرى. ومن الأمور المُشجِّعة أن أبونا مينا المتوحد حبذ مغادرتي للدير من تحت إشراف أبونا متى المسكين حيث كانت العلاقة بينه وبين أبونا متى تزداد توترا كل يوم بسبب الضغوط عليه والوشاية من مدارس أحد الجيزة.

(7) عودتي لدير السريان لأعلن الحرب على أبونا متى المسكين

خرجت من دير الأنبا صموئيل بصحبة الدكتور وهيب عطاالله يعلو وجهي ونفسي غيمة مخيفة، أحمل هما ثقيلا بخصوص اللقاء الأول مع الأسقف، بعد خروجي من دير السريان بطريقة كان فيها تحدي شديد لشخصه. كما كانت المواجهة مع أبونا مكاري تُشكِل عبئا ليس سهلا على نفسي، خصوصا وأنه صار الشخصية الأولى في دير السريان حيث الأسقف نفسه يعمل له ألف حساب. ماذا سأقول للأسقف.. ولماذا أنا عائد اليوم؟ هل سأقول ما قلته في دير الأنبا صموئيل قبل مغادرتي؟!!! مستحيل... أنا راجع بهدف خلق مسار شعبي ثالث بعيدا عن كل من أبونا متى وأبونا مكاري معا بهدف بلوغ كرسي مار مرقس... بل ويلزم تحطيم كلا المسارين بكل قوة بلا مهادنة. كان علىَّ كسب الأسقف لجانبي لأقصى درجة، لذلك كان لقائي الأول معه في غاية من الحساسية والصعوبة.

تم اللقاء مع الأنبا ثيئوفيلس وللغرابة كان لقاءا وديا للغاية حيث فرح الأسقف بعودتي. أما عن اعتذاري له وعن سبب عودتي فقلت، أنه من يوم مغادرتي للدير وأنا أشعر بصراع داخلي وتأنيب ضمير شديد، فكنت متحيرا بعد مغادرتي للدير بشكل دائم.. إذ كان يراودني سؤال هام؛ لِمن ينبغي أن تكون طاعة الراهب؟ هل للمرشد الروحي أم لرئيس الدير في حالة اختلافهما؟ وبعد تفكير عميق طول هذه المدة اقتنعت أن طاعة الراهب ينبغي أن تكون لرئيس الدير أولا قبل أب الاعتراف، لذلك قررت العودة مع شعوري بالخطأ. قَبِل رئيس الدير هذا الاعتذار دون تفكير أو مناقشة.. لست متأكدا إذا كان عن اقتناع بالسبب التافه الذي ذكرته أم بسبب رغبته في عودتي للدير بغض النظر عن الأسباب. بعد ذلك كنت أحرِص على ترديد هذا السبب لكل من يزورني لعل هذا العذر يصل مرات لمسمع رئيس الدير عن طريق تناقل الكلام. الكثير من زوار الدير الذين حضروا خصيصا للقائي لم يقتنعوا ذلك السبب، فمنهم من كان يصمت تجاهلا لما أقول، والبعض كان يُعلِّق بأسلوب تهكمي،

ولكن كان هناك البعض القليل ممن يصدقوني. في نفس الوقت بدأت أشكك في مؤلِّف كتاب "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، فكنت أتسائل في استنكار عن الذين يعتقدون أن الأب متى المسكين هو مؤلِّف الكتاب، بينما لم يكن موضوع على الكتاب سوى اسم واحد هو اسمي "نظير جيد" الذي كان بمقدمة الكتاب!!! لكن بعد قليل تنبهت أن مثل ذلك الكلام قد أساء لي جدا، حيث اعتبرني البعض أحاول سرقة كتاب حياة الصلاة من مؤلفه الأصلي، فتوقفت عن ذلك الحديث.

ما لم أتوقعه أبدا هو اللقاء مع أبونا مكاري السرياني الذي حضر خصيصا للدير لمقابلتي عند سماعه بخبر عودتي للدير. طال حديثنا جدا الذي اتسم بالصراحة الكاملة والوضوح والود الشديد، فنحن نفهم بعض تماما من زمن بعيد وكل منا يعرف هدف الآخر وإمكانياته، فلا يوجد أي مجال للف والدوران أو الكلام الغامض الذي يجيده كلانا مع الآخرين. قال لي أنه كان متأكدا من أنني سأترك أبونا متى يوما ما حيث أن أهداف كل منا متعارضة مع الآخر، فكل له اتجاه مختلف. أضاف؛ بينما أنت تعرف أهدافك بوضوح، فهي محددة من قبل الرهبنة، فإن أهداف أبونا متى المبهمة يغلفها ضباب التوحد والسياحة في المغارة البعيدة المنال وغير العملية. في الوقت الحاضر الكنيسة ليست في حاجة إلى اتجاه أبونا متى الخيالي غير الواضح لكن الكنيسة في أشد الحاجة لأعداد كبيرة من الخدام على كل المستويات، من البطريرك حتى الشماس والعريف. وكما تعرف إن مدارس أحد الجيزة تقوم منذ وقت طويل بإعداد كل الكوادر القيادية التي تحتاجها الكنيسة. الكنيسة في أشد الحاجة لتلك القيادات حيث يمكنها أن تستوعب أعداد كبيرة جدا، فكلنا مطلوبين في الخدمة، أنت وأنا، **"فلماذا لا تكون أنت البطريرك وأنا مساعدك"**. هنا أبونا مكاري كان يطرق الوتر الحساس الذي أبعدني عن أبونا متى بكل مهارة مع علمي أنه لا يعني ما يقول!!! فالسعي نحو كرسي البطريرك كان هدفه من وقت بعيد، ولن يتنازل لي عنه بهذه السهولة. استأنف أبونا مكاري حديثه قائلا، لقد كنت أنت في احتياج لأبونا متى في البدايات لكن الآن عليك البدء في شق طريقك بحرية دون وصايته عليك، خصوصا لشخص ذكي مثلك له طموحاته. وأضاف قائلا، لذلك أنا كنت

متأكد من حتمية عودتك لدير السريان، وكنت أنتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر، وقد جاء...

قال أبونا مكاري.. لم نكن نعادي أبونا متى المسكين فهو صديق قديم من شباب الجيزة المحبوبين. ولقد حاولنا كثيرا معه فلما وجدنا أنه يرفض تماما التعاون معنا في مسيرتنا الواضحة، ولما كان من الضروري أن نسير نحو تحقيق الهدف النبيل الذي من أجله قد تركنا العالم وكرَّسنا حياتنا لخدمة الله، فكان علينا ألا ننتظر أحدا أو نعطي فرصة لأحد ليُعوِّق مسيرتنا نحو الهدف بكل قوة وثبات. لقد قدمت الجيزة أقصى ما يمكن من مساعدات لأبونا متى لإنجاح مهمته في الإسكندرية، لكنه لم يُقدِم هو أي شيء، بل ورفض تماما التعاون معنا. لقد حاول معه أبونا بولس أن يشرح له أهدافنا بشكل واضح لكنه رفض حتى الاستماع لأهدافنا بحجة أنه راهب ولا ينبغي له التفكير في المناصب الكنسية. أنا متأكد أنه بعد تلك الشعبية الكبيرة التي أحرزها وتلك الثقة الضخمة التي يحوزها بين الكثير من الخدام، فلو عرض عليه يوما الترشيح للبطريركية فلن يجد نفسه قادرا حتى عن أن يمتنع أو يقاوم العرض المغري.. بذلك فهو يُعرِّض أهدافنا للخطر بعدم تعاونه معنا. الخدمة في الكنيسة متسعة للجميع فهي تستوعب كل خدام مدارس الأحد المعروفين وزيادة، ولكن يلزم التخطيط والتنسيق حتى نستطيع أن نحقق أهدافنا من العمل الكنسي.. ومازال العمل يحتاج منا أن نُجنِّد الكثيرين لنعمل منهم قوة واحدة تستطيع أن تقود الكنيسة كلها. إن أهداف مدارس أحد الجيزة التي رسمناها بدقة تحتاج للكثير جدا من الخدام للعمل الضخم المطلوب منا. كنا نود لو أن أبونا متى يعمل معنا لتحقيق الهدف لكنه اختار طريقه رافضا التعاون، وتركنا في وضع لم يسمح بأي فرصة سوى مقاومة ومحاربة اتجاهه الذي يعوق مسيرتنا فإما أن نستمر نحن في طريق البناء، أو نتركه ليهدم كل خططنا. كنت أتفهم تماما موقف أبونا مكاري، حيث كنت في نفس وضعه من أبونا متى وشعبيته الطاغية التي لا أنا ولا أبونا مكاري ممكن أن نبلغ إليها، فكل يوم يمر يزداد التفاف الشعب القبطي حوله.

بعد تلك المقدمة الرائعة عرض أبونا مكاري رغبته في التعاون الكامل معي في الخدمة التي تضطرنا لضرورة العمل على مقاومة شعبية أبونا متى المسكين المتنامية. ماذا نعمل.. طردناه من الإسكندرية فازدادت شعبيته... طفشناه من دير السريان فتزايدت شعبيته أكثر في دير الأنبا صموئيل المعزول.. فماذا نعمل؟ لا بد من التعاون والتخطيط لمواجهة هذا الخطر معا، فكلينا صاحب أهداف ومصالح تتطلب مجابهة أبونا متى.. وكل منا له مواهبه الخاصة التي لو اجتمعت لأمكن لنا عمل شيء قوي وفعال، كما حدث مع الأنبا يوساب الذي تحطمت سمعته شعبيا، فأصبح من السهل إبعاده عن كرسيه.

كان أبونا مكاري يتكلم معي بكل الصدق والوضوح حيث شعرت باحتياجه الشديد لي، فاكتشفت لأول مرة أننا نُكمِّل بعض، لا يستغنى أحدنا عن الآخر من ناحية العمل السياسي، فنحن معا نعمل كفكي كماشة تستطيع أن تقتلع أي قوة تعترض طريقنا. كان أبونا مكاري يُدرك أهميتي له برؤية سياسي مُحنَّك، بينما أنا لم أفكر في الأمر من قبل بتلك الرؤية السياسية العميقة، بل كنت قبلا أشعر بالنفور منه بشكل دائم. فبالرغم من أننا فعلا كنا نعمل في نفس الاتجاه سواء من خلال مجلة مدارس الأحد أم في الاجتماعات التي كنا نُنَظِمها ضد الأنبا يوساب تحت شعار الإصلاح الكنسي، أم في المظاهرة ضد رسامة مطران الجيزة. لقد كان تعاوننا هو السبب المباشر في تحطيم شعبية الأنبا يوساب بالرغم من إنجازاته الكبيرة. كان الأنبا يوساب مهتم بالعلم والتعليم إذ كان خريج جامعة أثينا التي تعتبر أكبر جامعة لاهوتية أرثوذكسية في العالم. وقام بإنشاء المبنى الفاخر للكلية الإكليريكية وطوَّر الدراسة بها حتى أصبحت تعادل المستوى الجامعي، كما أنشأ معهد الدراسات القبطية، وأنشأ القاعة الكبرى التي أسماها القاعة اليوسابية، وكان يُشجِع كبار العلماء لعمل المحاضرات بها لتثقيف الشعب. وقام بتطوير الأديرة ورسم لها الأساقفة المستنيرين. لا شك أن الهجوم المُنظَّم عليه كان السبب المباشر في تحطيم شعبيته ثم عزله.

أبونا مكاري أضاف لحديثه الهام قائلا؛ واضح أن الانتخابات هذه المرة ليست من نصيبنا بسبب موقف جمال عبد الناصر المتجمد منا. لكننا في سن صغير يسمح لنا بالفوز في الانتخابات المرة القادمة. ولكن علينا أن نعمل منذ الآن بمنتهى الحكمة والقوة حتى لا تضيع منا الفرصة القادمة وهي الأخيرة. علينا أن نتابع البابا القادم وأن نحيط به بكل قوانا ونكون ظاهرين في الكنيسة. ونحن لدينا كل الإمكانيات لذلك لكن أهم شيء هو تعاونًا معا من هذه اللحظة**!!!** فهل تتعهد بذلك؟ **قلت أتعهد بذلك!!!**

تطرق الحديث مع أبونا مكاري عن الدكتور وهيب عطاالله وشعبيته التي يمكن الاستفادة منها. لم يكن أبونا مكاري يتفق معي في الرأي حيث لا يرى في شعبية وهيب عطاالله أي فائدة كما كنت أعتقد، بل بالعكس ففي أي لحظة يمكن لوهيب أن يدخل الدير فتكون شعبيته التي أحرزها بسبب علمه ومركزه بالكلية الإكليريكية ضاغطا فنضطر لمحاربته كما نحارب أبونا متى. في نفس الوقت إن الكثيرين ممن يتبعون الدكتور وهيب من السهل جدا انحيازهم للأب متى المسكين فهم يحملون نفس التوجه الفكري المعرِفي وبنفس الأسلوب، فكان يرى في شعبية كل من أبونا متى والدكتور وهيب خطرا شديدا على كل من يحاول الوصول لمنصب البطريرك لذلك يلزم أن نقف وقفة قوية وحاسمة من كليهما.

أبونا مكاري له مواهبه النادرة الخطيرة فهو سياسي محنَّك بعيد النظر مع مقدرة فذة ونافذة على التخطيط السياسي المحكم، كما أن له أساليبه الدبلوماسية القوية في التعامل مع الرئاسات سواء على المستوى الكنسي أو الحكومي. وبعد زيارته لأمريكا وحصوله على الماجستير في العلوم الاجتماعية من واحدة من أكبر جامعات العالم، صارت له علاقات دولية بالكثير من زعماء العالم، وقد أكسبته عضويته في مجلس الكنائس العالمي حنكة سياسية وقبولا مجتمعيا على أعلى مستوى دولي ومحلي. كل ذلك كان ينقصني فأنا لا أجيد التعامل مع الرئاسات بل سريع الصدام. والسؤال، لماذا يحتاج لي؟ وهل هو يحتاج لي فعلا؟ وإلى أي مدى هو مستعد للتعاون معي؟**!!** وهل يقبل أن أكون أنا البطريرك بينما هو يعمل معي كأسقف كما قال؟**!!!** أشك كثيرا.

بدأت أراجع حديث وفكر وإيماءات وإيحاءات أبونا مكاري لي بكل دقة. لعل أخطر ما قاله عن أبونا متى "طردناه من الإسكندرية فازدادت شعبيته طفشناه من دير السريان فتزايدت شعبيته أكثر.. فماذا نعمل؟" بل وكنت قد لمست بنفسي كيف كان يتابع محاربة أبونا متى وهو في دير الأنبا صموئيل بالضغط الشديد على أبونا مينا المتوحد وتحريضه ضد أبونا متى ومن معه. هل لهذا السبب هو محتاج لي باعتباري كنت أقرب الشخصيات لأبونا متى، وأني أقْدَر شخص على فهمه وبالتالي محاربته؟!!

هل هناك أسباب أخرى؟ هل هو يريدني أن أحارب شعبية أبونا متى ليستفيد هو ويحقق أهدافه بالوصول إلى منصب البطريرك، لأخرج أنا من المولد بلا حمص؟!!!! طبعا هذا التفكير هو الأقرب للواقع.

لقد وعدني أن نعمل معا كجبهة واحدة للوصول لمنصب البطريرك، ومن يصل منا يُعيِّن الآخر في منصب وكيل الكرازة المرقسية ويكون مسئولا عن المهجر وفي هذا عدالة، فنكون قد اقتسمنا النجاح بيننا بعد الكفاح المشترك. كان يعتقد أن أي منا لا يستطيع الوصول للمنصب لوحده أمام الشعبية القوية سواء شعبية أبونا متى المسكين أو الدكتور وهيب عطاالله، فبدون تحطيم شعبيتهما لن يستطيع أي شخص آخر أن يُقدِم على تلك المنافسة. هل كان يريدني القيام بتحطيم كل من أبونا متى والدكتور وهيب كما فعلنا بالأنبا يوساب؟!! منصب وكيل الكرازة المرقسية ظهر في أيام الأنبا كيرلس الخامس، فعندما كبر في السن ولم يكن يستطيع أن يدير شئون الكنيسة وحده أحضر الأنبا يوأنس مطران البحيرة الذي كان يثق فيه لمساعدته، فعيَّنه وكيلا للكرازة المرقسية. لقد عمل هذا المنصب حتى يعطي للأنبا يوأنس الفرصة للقيام بعمل البطريرك العجوز، في نفس الوقت ليحتفظ بوضعه كبطريرك لآخر حياته. وكانت هذه هي الفرصة التي مكنِّت الأنبا يوأنس في أن يخلف الأنبا كيرلس الخامس على كرسي مار مرقس بالرغم من أنه يحمل رتبة الأسقفية، ليخالف القانون الكنسي لأول مرة في تاريخ الكنيسة القبطية.

الأمر الذي يرفضه الشعب القبطي تماما. لكنه أمكن تحقيق ذلك بمساعدة الملك فؤاد.

كلامه كان واقعيا وصحيحا في الوقت الذي كان يساورني الكثير من الشك في وعوده، فهو من مدارس أحد الجيزة غير مؤتمن الجانب، بحسب خبرتي الطويلة معهم. في نفس الوقت لم يكن لي فرصة أخرى أفضل من العروض التي قدمها لي أبونا مكاري، فكان التحالف معه واستخدام كل قوة مدارس أحد الجيزة هو أفضل الفرص المُتاحة لي، بل لم أكن لأتصور في يوم من الأيام أفضل من ذلك. وبينما أنا أوافق على ذلك التحالف مع أبونا مكاري يمكنني في نفس الوقت العمل على تكوين جبهتي الخاصة. وكان هناك فائدة أخرى من ذلك التحالف هو ضمان ألا يعترض الأب الأسقف على نشاطي طالما هو يخدم أبونا مكاري، حيث لم يكن الأسقف رئيس الدير ليتجاسر على معارضته. وكان في ذلك فرصة تتيح لي العمل على تكوين جبهتي الخاصة، فأبونا مكاري نادرا ما يحضر إلى الدير بينما أبونا متياس ممثله ليس له من الحنكة السياسية ما يستطيع به أن يفهم أو يعيق عملي.

السؤال الهام الذي كان يشغلني، هل أبونا مكاري كان يحتاج لمواهبي؟!!! كان أبونا مكاري متميزا جدا في النواحي السياسية والاجتماعية لكن كانت تنقصه الكثير من القدرات على التواصل الشعبي حيث كان يسانده في ذلك كل من أبونا صليب سريال وأبونا بولس بولس. فلم يكن أبونا مكاري مُتحدثا مُقنِعا على المستوى الروحي في اجتماعات الشباب أو درس الكتاب. بل وأيضا كان ضعيفا في شرحه ودراساته للكتاب المقدس. كان يُدرِّس في الكلية الإكليريكية مادة الطقوس الكنسية التي كان يمزجها بالرؤية الاجتماعية، ولم يكن متميزا كمدرس. أبونا مكاري (الأنبا صموئيل) لم يكتب ولا كتاب فلم، يكن له المقدرة على الحديث الروحي أو الكتابة. كل ذلك كانت تعتبر مُعوِّقات عن إمكانية تواصله الشعبي المباشر مما يُصعِّب مهمته كمرشح للبطريركية. بينما كانت هذه الأمور التي تنقصه متوفرة لديَّ بثراء. وكل ما كان ينقصني متوفرا لديه. لقد كنا فعلا متكاملين الأمر الذي لم أكن متنبها له من قبل. ولعل

أهم ما يميز الأب متى المسكين هو سعة إطلاعه وعمق دراساته بينما ذلك المجال بعيد جدا عن إمكانيات أبونا مكاري السرياني، ولا يعرف أن يتعامل معها بأي شكل، بينما أنا أتعامل مع الكتب بطريقة ما. صحيح أنا ليست لي مقدرة أبونا متى لكني على الأقل عندي الأساس الذي تعطيني الفرصة لمحاربة أبونا متى في هذا المجال الأمر الذي ينقص أبونا مكاري. وبذلك يتحدد عمل كل منا في تحالفنا الجديد.

بعد أن استقرت بي الأمور في دير السريان واستعدت مكانتي كان أهم أهدافي هو جمع أكبر عدد من التلاميذ حولي، المؤيدين لي. بعد أن استعاد أبونا شنودة السرياني صحته وعاد إلى الدير كان هو أكبر معاون لي. من أهم مصادر قوة أبونا متى المسكين مقدرته على التلمذة فالتف حوله مجموعة قوية جدا من الرهبان. وكانت هذه هي فرصتي في دير السريان الذي يُعتَبر أكثر الأديرة استقبالا للزوار من شباب مدارس الأحد، فكنت لا أضيِّع فرصة للقاء بالشباب، والحديث معهم في شتى الأمور الروحية، حيث كانوا يتعلقون بي بسرعة. وكنت أشجع الشباب على الرهبنة في كل مناسبة بطرق مغرية ومقبولة مع رسم سمات القداسة بطريقة تصل لحد المبالغة الأمر الذي أجدته بعشرتي للرهبان والمتوحدين. وفعلا بدأ يتزايد عدد تلاميذي من الرهبان بوفرة مما كان يعطيني قوة ومكانة أمام الأسقف. فزاد عدد تلاميذي عن تلاميذ أبونا متى نفسه الذي توقف عن التلمذة، حيث أن دير الأنبا صموئيل لم يكن مُشجِّعا بالمرة لا للزيارة ولا للرهبنة. وبعد بناء بيت الخلوة بدير السريان قمت بوضع له نظاما دقيقا للزيارة والخلوة الروحية، فكثر جدا عدد زوار الدير. وتم تعيين أبونا أغاثون ليشرف على البيت وكان شخصية جذابة مُحببة جدا للشباب. وكثيرا ما كان أبونا شنودة وأنا نعمل لقاءات مع الشباب الذين يحضرون للخلوة. وكان لي تلاميذي الذين يحضرون للدير خصيصا للقاء معي فزادت شعبيتي جدا. كان التعاون بيني وبين أبونا مكاري يزداد ترسخا في كل يوم ولكن مع الحذر من كلا الجانبين.

من الأمور التي بنت شعبية الأب متى المسكين هو أنه كان قد توحد في المغارة خارج الدير، فتتلمذ على يد أبونا عبد المسيح الحبشي. وبعد مغادرته للدير كانت هناك عدة مغارات خالية تنتظر من يشغلها. كانت تلك المغارات لها أبواب قوية وبها سلك مانع للحشرات والناموس. مما كانت محتملة. وفعلا قمت بالتردد على أبونا عبد المسيح وشغلت إحدى هذه المغارات الأمر الذي كان له أثر كبير على تلاميذي الذين كانوا قد كثر عددهم جدا. وصار لي تلاميذ من المتوحدين. الذين سكنوا المغارات المجاورة لي ليأنسوا وحدتي.

الأنبا يوأنس مطران الجيزة عندما رُشح للمطرانية قابلته مدارس أحد الجيزة بثورة عارمة من الرفض، حتى أن مجلة مدارس الأحد أصدرت عددا خاصا عن السيمونية والرشاوي في الكنيسة القبطية ولم يكن المقصود بذلك سوى مهاجمته هو شخصيا والبطريرك الذي رشحه للمنصب. وقام نظير جيد (الذي هو أنا) بترتيب مظاهرة ضد الأنبا يوساب بسبب ترشيح ذلك المطران. إلا أنه لم يمضى سوى وقت قليل بعد رسامته حتى استطاع أن يجتذب كل قيادات مدارس أحد الجيزة لجانبه، بل وبلباقته الشديدة صار واحدا منهم. الرجل في غاية من الذكاء فبتفكير بسيط عرف أن كل مصلحته واستقرار خدمته بين يدي قيادات مدارس الأحد فبذل جهدا ضخما لإرضائهم. موقع مطران الجيزة موقعا في غاية من الأهمية السياسية، وبكسب قيادات مدارس الأحد استطاع أن يضمن التأييد الشعبي الذي يعطيه القوة والمكانة السياسية. لم يمضي وقت طويل حين أصبح للأنبا يوأنس أثرا قويا على سياسة الكنيسة، فكان له دور رئيسي في قرار عزل الأنبا يوساب الأمر الذي كان مطلبا يرضي مدارس أحد الجيزة جدا. فبالرغم من المتاعب الجمَّة التي تحملها الأنبا يوساب بسبب ترشيح الأنبا يوأنس ثم رسامته مطرانا للجيزة، إلا أنه بعد أن وصل للمنصب لم يتورع من الوقوف ضد الأنبا يوساب بكل قوة في أول فرصة، لإرضاء قيادات الجيزة. وكان للأنبا يوأنس رأيا حين صدر قرار من المجمع المقدس، يعتبر دير الأنبا صموئيل ليس ديرا قانونيا، فتقرر أن تكون الأديرة المعترف بها في مصر هي سبعة أديرة فقط ليس من بينها دير الأنبا صموئيل. وبذلك فالرهبان الصمويليون أصلا مثل

أبونا متى لا يعتبروا رهبانا أما الرهبان القادمين من أديرة أخرى مثل دير السريان فيمكنهم العودة لأديرتهم وإلا اعتبروا غير رهبان. لم يكن ذلك القرار مؤثرا في حينه. إلا أنه بعد ذلك كان لذلك القرار الأثر في تشتيت أبونا متى ورهبانه. وبسبب موقع الأنبا يوأنس القيادي كان يرأس المجموعة الممثلة للأقباط في لجنة إعداد للدستور حيث صار له صوته المسموع بتعاونه الكامل مع قيادات مدارس أحد الجيزة التي كانت قبلا ترفضه. كل ذلك كنت أراه فأدرك تماما أهمية التعاون مع أبونا مكاري، حتى أكون ضمن ذلك التنظيم القوي لإمكان تحقيق أهدافي البعيدة.

أما رهبان دير الأنبا صموئيل فبعد أن انتهوا من أعمال المباني بالدير بدءوا مرحلة من الاستقرار. وبدأ أبونا متي العودة للدراسة والكتابة مما نتج عنه ظهور كتابين. وفي هذه المرة وضع أبونا اسمه على الكتب، بعد أن بلغه ما قلته عن كتاب حياة الصلاة، عندما قلت أنه لم يكن هناك على الكتاب اسم آخر غير اسم نظير جيد. الكتابان الجديدان، "الكنيسة الخالدة" ثم كتاب عن الروح القدس اسمه "العنصرة". كان ظهور الكتابين مُحرِّكا لكل ما يكمن بداخلي من مشاعر البغض والعداء والإحساس المرير بخيانة أبونا متى لي وظل هذين الكتابين بالذات يذكراني بكل مرارة بمشاعر الكراهية وتمزق العلاقة مع أبونا متى المسكين. كتاب "العنصرة" يحوي فكرا جديدا عن الروح القدس يسهل نقده. أما كتاب الكنيسة الخالدة فقد أحرز شهرة واسعة جدا ليس فقط بين الأقباط بل انتشر خارج مصر خصوصا في الكنيسة الإنطاكية. كانت تلك الكتب تزيد من شعبية أبونا متى المسكين، لذلك كان لا بد من أن أقوم بعمل مضاد لتلك الكتب الجديدة في سياق العمل المشترك بيني وبين أبونا مكاري السرياني لمحاربة شعبيته.

(8) الكنيسة والدولة والتشريعات الجديدة المؤثرة على الكنيسة بعد عزل الأنبا يوساب

الموقف الحكومي المعادي لمدارس الأحد بشكل مُعلن أساء جدا للحكومة أكثر مما أساء لمدارس الأحد فكان هناك تذمر شعبي واضح بين الأقباط بسبب تأجيل انتخابات البطريرك. وبالرغم من كل ما بذله جمال عبد الناصر من جهود لتحقيق المساواة والعدالة وسيادة القانون، كما توقف الاعتداء على الكنائس تماما إلا أن الأقباط لم يغفروا لعبد الناصر أبدا قرار تأجيل انتخابات البطريرك ومهاجمته لمدارس الأحد ومرشحيها للبطريركية، وهذا يعكس مدى التأثير الشعبي والثقة والتقدير الذي حازته مدارس الأحد في ذلك الوقت. وكان للأسلوب الدعائي القوي لمدارس أحد الجيزة تأثيرا غاية في القوة يحمل العداء الشديد لجمال عبد الناصر في الأوساط القبطية. ولقد لعبت علاقة الدولة بالكنسية دورا غاية في الأهمية بعد استبعاد ثلاثة رهبان مدارس الأحد، انتهى باختيار أبونا مينا المتوحد بطريركا باسم الأنبا كيرلس السادس البابا 116 من بطاركة كنيسة الإسكندرية. ولعل ذلك المشهد دفع أبونا متى المسكين لإصدار كتاب "الكنيسة والدولة" في عام 1963.

المرحلة الانتقالية بعد ثورة 23 يوليو عام 1952 صدرت فيها قرارات تشريعية هامة كانت لها أثارا كبيرة على علاقة الأقباط بالدولة، خصوصا التغيرات التشريعية التي واكبت وضع الدستور الجديد لمصر. كان من أهم أهداف جمال عبد الناصر هو تحقيق الدولة المدنية. وكان الدستور الجديد هو المجال الذي يمكن فيه أن يحقق الدولة المدنية والعدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراد الشعب بحسب مبادئ الثورة. شَكَّل جمال عبد الناصر لجنة لوضع الدستور التي جمعت كل قوى الشعب، فكان ضمن اللجنة ممثلين عن الكنيسة القبطية من الإكليروس والعلمانيين من كبار الأقباط، ومنهم الخبراء في القانون مثل حبيب باشا المصري الذي تنيح مبكرا قبل الانتهاء من وضع الدستور.

كخطوة ضرورية لتحقيق الدولة المدنية في الدستور الجديد صدر قرارا بإلغاء المحاكم الشرعية والمجالس الملية لكل الملل، حيث كانت تلك المحاكم من مخلفَّات الدولة العثمانية. وبمقتضى القانون الجديد صارت المحاكم المدنية مسئولة عن نظر قضايا الأحوال الشخصية مثل كل دول العالم المُتحضِّر، وبذلك حاول جمال عبد الناصر أن يزيل كل آثار تشريعات الدولة العثمانية من الدستور المصري ذات الطابع العنصري الذي يفرق بين الأديان والملل، فبدأ الخطوة الأولى نحو تحقيق الدولة المدنية. إلا أن ذلك القرار الوطني لم يكن ليرضي الإسلاميين المتعصبين. وهو أيضا لم يرضي بعض المسيحيين من أصحاب المصالح مع المتعصبين. في الوقت الذي كان ذلك القرار موضعا لسعادة وحماس كل المفكرين التقدميين مسيحيين ومسلمين، فتحقيق الدولة المدنية أمل ما زال كل الأحرار في مصر يتطلعون لتحقيقه مهما كانت التبعات. المفروض أن الدولة المدنية تحمي حقوق الأقباط المُضيَّعة في الدولة التي تقوم على أساس ديني عنصري. المفروض أن مدارس الأحد كانت تحوي صفوة الشباب القبطي المُثقف أصحاب الرؤية البعيدة. لكن من الغريب أن تقف مدارس أحد الجيزة بالذات موقف المهاجم لكل ما يقوم به عبد الناصر من إصلاحات وفي خلفية كل ذلك حادث استبعاد الرهبان من مرشحي مدارس الأحد من انتخابات البطريرك.

لقد عانت الكنيسة القبطية من المجلس الملي الكثير جدا منذ ظهوره بسبب الصراعات بين المجلس الملي والبطاركة فكان الخلاف محتدما بشكل دائم لم ينقطع منذ قيامه عطل الخدمة والعمل الإصلاحي بالكنيسة الذي كانت تطالب به مدارس الأحد ومجلتها. وبالمثل كان هناك الكثير من المشاكل بين المجالس الملية الفرعية والأساقفة في جميع الإبراشيات. فتاريخ المجلس مُظلم جدا حيث لم ينس الأقباط مشاكل المجلس الملي مع البابا كيرلس الخامس والصراعات الضخمة المستمرة التي استمرت لأكثر من عشرين عاما والتي تسببت في أن قام الخديوي توفيق بعزل البابا عن كرسيه. كما لم ننس المشاكل مع الأنبا مكاريوس الثالث والتي بسببها قرر البابا الاعتكاف في الدير واعتبر ذلك تأديبا من الله لكسره القانون الكنسي وطلب من الله أن يُقصِّر حياته وزمن خدمته كبطريرك.

وبعد نياحته تابعت المشاكل مع المجلس الملي الأنبا يوساب حتى عُزِل من كرسيه. كم مرة طالبت مجلة مدارس الأحد بإلغاء المجلس الملي في مقالاتها النارية، حيث اعتبرته وضعا شاذا وغير قانوني، وكم كتب نظير جيد من مقالات عن ذلك الموضوع عندما كان رئيسا للتحرير؟!! رغم كل ذلك التاريخ المحزن للمجلس الملي فبمجرد أن قام جمال عبد الناصر بإلغاء المجالس الملية بهدف تحقيق الدولة المدنية، تذمر عليه أصحاب المصالح من وجود المجلس الملي، وهاجموا عبد الناصر واتهموه بالتعصب الديني. وبعد صدام عبد الناصر مع مدارس الأحد بسبب الترشيح لمنصب البابا بدأت مدارس أحد الجيزة تستخدم إلغاء المجلس الملي كذريعة للهجوم عليه. قالوا أن جمال عبد الناصر استغل عدم وجود بطريرك للكنيسة بعد إبعاد الأنبا يوساب ليضرب الكنيسة بإلغاء المجالس الملية وتأميم الأوقاف، في الوقت الذي كان فيه جمال عبد الناصر يرفض عزل البابا ويسعى بكل قوته لعودته لكرسيه بين رفض مدارس الأحد ومهاجمة مجلة مدارس الأحد في مقالات قوية لكل محاولات عودة الأنبا يوساب لمنصبه.

كان المجلس الملي حسب قرار تشكيله، وطبقا لتشريعات الدولة العثمانية، مختصا بأمرين أمام الدولة؛ الفصل في الأحوال الشخصية، ثم إدارة الأوقاف القبطية. وتم إلغاء المجلس الملي وتكليف المحاكم المدنية بالقيام بدوره فيما يخص الأحوال الشخصية، فقررت لجنة الدستور برئاسة الأنبا يوأنس مطران الجيزة أن تقوم المحاكم باستخدام نفس القانون القديم للأحوال الشخصية للأقباط الذي كان يستخدمه المجلس الملي للحكم في قضايا الأسرة القبطية حتى عام 1956. لائحة المجلس الملي لعام 1938 كانت عبارة عن لائحة تفصيلية للقوانين التي كانت أقرتها الدولة العثمانية والصادرة عن المجمع المقدس برئاسة الأنبا كيرلس الخامس في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. كان الأنبا كيرلس الخامس قد كلف الإيغومانس فيلوثاؤس إبراهيم كاهن الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية بوضع قوانين الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس طبقا للتقليد الكنسي، وذلك كطلب الباب العالي. وبعد تصديق المجمع المقدس على تلك القوانين برئاسة الأنبا كيرلس الخامس أرسلته

لوزارة الحقانية واعتبرت ضمن قوانين الدولة فيما يخص الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس. وعند إعداد الدستور الجديد في عام 1955 تبين للجنة القائمة على إعداد الدستور أن اللائحة التفصيلية التي وضعها المجلس الملي تحت إشراف المجمع المقدس في عام 1938 برئاسة الأنبا يوأنِّس تحوي شرحا مُفصّلا لقانون الأحوال الشخصية الذي قرره الأنبا كيرلس الخامس وأقرته الدولة. وكانت تلك اللائحة التفصيلية (لائحة 1938) لازمة للقضاء كما كانت لازمة للمجلس الملي، بما تحويه من قوانين تفصيلية موضوعة في نصا قانونيا منضبطا أكثر من القانون الذي أقرته الدولة العثمانية الذي كان قد وضعه الأب فيلوثاؤس إبراهيم وهو ليس متخصصا في القانون. لم تكن اللائحة مختلفة عن القانون لكنها كانت تُفصِّله حتى تمكن من تطبيقه العملي ، حيث كان قد أعد تلك اللائحة مجموعة من جهابذة القانون في ذلك الوقت، من أمثال حبيب باشا المصري وإبراهيم بك الطوخي. لذلك فضِّلت اللجنة المُشرِفة على إعداد الدستور اعتبار لائحة 1938هي قانون الأحوال الشخصيةَ للأقباط الأرثوذكس، ضمن الدستور المصري الجديد. اللائحة التي طبقها المجلس الملي في أحكامه في الفترة من عام 1938 حتى 1955 تحت إشراف البطريرك الذي كان يرأس المجلس الملي، وكانت كل الأحكام التي تصدر عن المجلس الملي بخصوص الأحوال الشخصية تتم باعتماد البطريرك لها بعد موافقته عليها، فكل حالات التطليق كانت تتم بتوقيع البابا نفسه. لذلك كان قرار المجلس الملي نهائي ويسمح بالزواج الثاني مباشرة لمن تم تطليقه دون الحاجة لتصريح زواج آخر. وبقرار إلغاء المجلس الملي فقد استبدل أعضاء المجلس الملي غير المتخصصين بقضاة متخصصين في القانون. وراعي جمال عبد الناصر في عصره أن يكون كل الذين يحكمون في قضايا الأحوال الشخصية للأقباط من القضاة المسيحيين. الفرق الوحيد أنه بعد إلغاء المجلس الملي لم يعد هناك تصديقا للبطريرك على قرار المحكمة لحالات الطلاق. وأقر تلك اللائحة الأعضاء الأقباط من الإكليروس والعلمانيين في لجنة إعداد الدستور برئاسة الأنبا يوأنس مطران الجيزة.

كان هناك اعتراضا من الجانب القبطي حول قوانين الأحوال الشخصية، ذلك الاعتراض الخاص بشريعة العقد. فكان القانون ينص على أنه في حالة تغيير أحد الزوجين لدينه أو ملته يخضع الطرفين للشريعة الإسلامية بدلا من شريعة التعاقد. وبمناسبة الدستور الجديد حاول الأقباط تغيير هذا القانون الظالم، حيث المنطق القانوني ينص على أن العقد هو شريعة المتعاقدين، لذلك يجب الالتزام بالشريعة التي تم عليها عقد الزواج. كان التحلل من شريعة العقد يضر بالأطفال جدا فعند تغيير أحد الزوجين دينه للإسلام فذلك يُلزِم الأطفال بتبعية الدين الإسلامي. وتقدم الأقباط باقتراح للجنة الدستور في شكل لائحة تضاف للقانون الأصلي تؤكد على احترام شريعة العقد في كل الأحوال، لكن لجنة الدستور برئاسة كمال الدين حسين رفضت ذلك الاقتراح مع الاحتفاظ بنص اللائحة التي كانت مُتّبعة في المجلس الملي قبلا دون أي تعديل.

كتب نظير جيد في مجلة مدارس الأحد، أكتوبر 1953، بمناسبة انتقال حبيب باشا المصري [لا نستطيع أن نتحدث عن الأحوال الشخصية دون أن نذكر المجهود الجبار الذي قام به حبيب المصري في هذا الشأن. كان يؤمن بمبدأ هام دافع عنه دفاعا مخلصا عنيفا وهذا المبدأ هو (تنفيذ شريعة العقد).] حبيب المصري هو رجل القانون الضليع الذي قاد العمل لإعداد لائحة 1938 للأحوال الشخصية، وأخذ بها الدستور الجديد للدولة حسب مطلب ممثلي الأقباط في لجنة إعداد الدستور.

أما عن المهمة الأخرى للمجلس الملي وهي الأوقاف القبطية، فكان جمال عبد الناصر قد قام بتأميم الأوقاف القبطية والإسلامية ووضع كل منهما تحت إشراف لجنة حكومية شكلها بنفسه. تشكلت لجنة الأوقاف القبطية من كبار الأقباط موضع ثقة جمال عبد الناصر، والتي صارت مسئولة أمام الدولة عن الأوقاف القبطية والصرف من ريعها على المشروعات والكنائس والأديرة القبطية. وبذلك لم يعد للمجلس الملي الملغى أي ضرورة من الجانب الحكومي. والواقع أن تلك القرارات قد حلت الكثير من المشاكل القبطية حيث دام الصراع المرير بين المجلس الملي والمجمع المقدس لأكثر من 70 عاما حول مهزلة الأوقاف القبطية

دون حل، إلى أن خلصنا الدستور الجديد للثورة من تلك الصراعات التي أضاعت جهود الأقباط دون طائل. وكم طالبت مجلة مدارس الأحد بضرورة إلغاء المجلس الملي، حيث كانت أمنية لا نتصور إمكان تحقيقها، فإذ بها واقع يقرره الدستور الجديد للدولة. ولا شك أن الأوضاع المالية للأديرة قد تحسنت جدا بعد أن كانت في حالة مذرية من الفقر بينما أموال الكنيسة تهدر في لا شيء. وطبعا كان هناك الكثير من المضارين بغياب المجلس الملي الذين أغضبهم القرار ووصفوه بالتعصب رغم كثرة ما طالب الأقباط بإلغائه مرات.

الدستور الجديد لمصر الذي بدأ تطبيقه في عام 1956 كان يخلو تماما من أي إشارة للشريعة الإسلامية. المادة 195 من هذا الدستور كانت تنص على "الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية" وهذا النص مأخوذ حرفيا من نص المادة 149 من دستور عام 1923. ولكن هذه المادة (رقم 195) ألغيت من الدستور المصري عند الوحدة مع سوريا في عام 1958 لتحقيق فكرة الدولة المدنية. وبعد انفصال سوريا لم توضع أي مادة جديدة تشير إلى إسلامية الدولة أو الشريعة ضمن أي دستور بعد ذلك في عصر جمال عبد الناصر، حيث كان يسعى لتحقيق الدولة المدنية، رغم المعارضة الشديدة له من أعضاء مجلس قيادة الثورة. ولذلك نرى أن كل الدساتير التي قامت بعد الانفصال مع سوريا كانت توصف بالدستور المؤقت حيث كان يرفضها أعضاء مجلس قيادة الثورة أمثال كمال الدين حسين وحسين الشافعي وكبار والأزهر، بسبب خلوها من أي بند يشير إلى إسلامية الدولة. ونرى دفاع جمال عبد الناصر عن موقفه من الدولة المدنية ذات التوجه الاشتراكي (ليس الشيوعي) كان واضحا في ميثاق العمل الوطني وبيان 30 مارس.

في عصر عبد الناصر لم توضع أي قيود على بناء الكنائس ولم تكن هناك أي فرصة للتعدي عل أي كنيسة تبنى حيث كان القانون وحده يسود، فكانت أجهزة الدولة هي المسئولة عن تصاريح المباني ومراقبة تنفيذها وليس الشعب أو الجامع ولا المنظمات الإسلامية. ولذلك توقف العدوان على الكنائس الذي شاع في أيام الملك فلم يتجرأ أي شخص على

الاعتداء على أي كنيسة طوال عصر جمال عبد الناصر. وفي تلك الفترة تم بناء أكبر عدد من الكنائس في مصر منذ الفتح العربي دون أن تتعرض لأي عدوان. ومن الأمور التي كانت مثارا لغضب الإسلاميين على عبد الناصر هو أنه قرر زيادة عدد قبول المسيحيين في الكليات العسكرية إلى 10% بعد أن كانت 2% أيام الملك، والتي كان الإنجليز قد شاركوا في وضع تلك القوانين القديمة. فبينما كان محمد على وأسرته يقربون الأقباط إلا أن الإنجليز كان يهمهم جدا إبعاد الأقباط أولا حتى يقوموا بعملهم وثانيا لعمل الفرقة والانقسام بين المصريين.

كل ما عمله جمال عبد الناصر لم يكن ليرض الأقباط الذين كانوا يشعرون بالسخط الشديد بسبب تأجيل انتخابات البطريرك وموقفه من مدارس الأحد ومرشحيها. وكان لمدارس أحد الجيزة دورا كبيرا في نشر مشاعر السخط والتذمر. ووسط تلك المشاعر قرر دير السريان عمل قداسا كل يوم أحد في مقره بالعزباوية من أجل اختيار الراعي الصالح، فأقام مذبحا صغيرا في الدور الثالث وكان الأنبا ثيؤوفيلوس يقوم بعمل هذا القداس بنفسه، حتى ينعم الله على الكنيسة بالراعي الصالح. وبالرغم من جمال الفكرة وتمتع الكثيرين بذلك القداس الروحاني الجميل، إلا أنه في خلفية ذلك كانت هناك مشاعر من الضيق بسبب القرار الجمهوري بتأجيل انتخابات البطريرك لأجل غير مسمى.

وما زاد من الغضب القبطي هو تعديل لائحة انتخاب البطريرك بما لا يسمح لأي من رهبان مدارس الأحد الوصول لمنصب البطريرك وذلك بإصدار لائحة 1957 الخاصة بتنظيم ترشيح وانتخاب البطريرك للكنيسة القبطية والتي صدرت بالوقائع المصرية بالعدد 85 مكررا بتاريخ 3 نوفمبر لعام 1957. كان المطلب الوحيد لجمال عبد الناصر هو منع الرهبان الذين رشحتهم اللجنة العليا لمدارس الأحد من دخول الانتخابات، بينما كانت توصياته هو تحقيق مطالب الشعب في البطريرك القادم وأن يكون رجل دين مُحنَّك محبوب وعلى مستوى المسئولية، وليس رجل سياسة، وسنه يتجاوز سن الشباب. لقد اعتمد جمال عبد الناصر في تحقيق هدفه أولا على لجنة الأوقاف القبطية وهم مجموعة

الأقباط موضع ثقته، كما كان يثق في شخص الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف والقائم مقام بطريرك فكان صاحب الرأي الأول في مسيرة ترشيح وانتخاب البطريرك وكان الأنبا أثنسيوس يرى ضرورة العودة للقانون الكنسي الذي يمنع ترشيح الأسقف للبطريركية.

لائحة 1957 لانتخاب البطريرك كان بها الكثير من المخالفات أكثر من كل ما سبقها من لوائح، فبينما احتفظت اللائحة بكل القوانين المخالفة للقانون الكنسي التي كنا نطالب بتعديلها في مجلة مدارس الأحد فقد أضافت مخالفات جسيمة أخرى تتعارض مع القانون، مما كان مثارا للسخط والتذمر الشديد بين الأقباط، خصوصا من جانب مدارس الأحد ومجلتها التي كان يرأس تحريرها الدكتور وليم سيلمان. كان العرف الكنسي يمنع تغيير لائحة انتخاب البابا في فترة ما بعد انتقال البابا وقبل انتخاب بطريرك جديد. أول مخالفات اللائحة هو منع الشعب من الانتخاب الأمر الذي يخالف الدسقولية وكل قوانين الكنيسة، فقصرت اللائحة الناخبين على عدد محدود من كبار الأقباط ممن ترى لجنة الأوقاف إشراكه في الانتخاب. لائحة 1927 كانت تمنع صغار الموظفين (من هم أقل من الدرجة السادسة) والعمال من الانتخاب. وكانت مجلة مدارس الأحد لا تكف عن مهاجمة اللائحة لأنها تتعارض مع القانون الكنسي الذي ينص على أن كل الشعب يختار البطريرك وليس فئة منه بغض النظر عن الموقف الاجتماعي، فجاءت اللائحة الجديدة بما هو أكثر سوءاً، فالتغيير الجديد يُعتبر تماديا في تجاهل القانون الكنسي.

أما الأمر الثاني الذي تغير باللائحة الجديدة فهو الشروط الخاصة بالمرشحين للبطريركية والتي وُضِعت لمنع مرشحي مدارس الأحد. فتحدد سن المرشح بألا يقل عن أربعين عاما حيث كان المرشحين الثلاثة في الثلاثينيات من العمر. والواقع أن هذا الشرط يقل عما جاء بالدسقولية التي تشترطت ألا يقل سن الأسقف (البطريرك ضمنا) عن خمسين عاما. أما الشرط الثاني فهو أن يكون المرشح قضى في الرهبنة 15 سنة على الأقل. وهو شرط مرفوض تماما كنسيا، حيث أنه لا يوجد قانون في الكنيسة يشترط أن يكون المرشح للأسقفية من الرهبان، فكل بطاركة

وأساقفة الإسكندرية حتى القرن الخامس لم يكونوا رهبانا، بل كانت العادة في اختيار البطريرك من علماء جامعة الإسكندرية اللاهوتية حيث لم يكونوا من الإكليروس ولا من الرهبان. لقد لجأت الكنيسة لاختيار الرهبان لرتبة الأسقفية لأول مرة بعد قرار مجمع نيقيا، الذي قرر أن يكون الأسقف متبتلا طبقا للعرف السائد، وعندما لم يتوفر البتولين من بين العلمانيين، لجأت الكنسية لاستخدام الرهبان مضطرة. فالأصل في اختيار البابا ألا يكون راهبا، ولذلك فإن التعديل باللائحة يعتبر إضافة مخالفات جديدة وجسيمة للقانون، مع الاحتفاظ بكل المخالفات القديمة. ولم يكن هذا بغريب عن الشخصيات القبطية التي قامت بالتعديلات، حيث لم يكن بينهم من له أدنى دراية بالقانون الكنسي. فكان كل هدفهم هو استبعاد مرشحي مدارس الأحد فقط، وبسبب عدم معرفتهم، قاموا بعمل أسوء لائحة لانتخاب البطريرك في تاريخ الكنيسة القبطية.

أما أسوء ما جاء بتلك اللائحة هو أن أضافت أمرا غريبا عن كل ما سبق من لوائح وهو نظام القرعة الهيكلية المخالف للقوانين الكنسية وللتقليد الرسولي وللكتاب المقدس، وذلك لتبرر منع الشعب من الانتخاب، الأمر الذي زاد من السخط الشعبي الشديد. كان الهدف القرعة الهيكلية هو إيهام الشعب بأن الانتخابات مؤيَّدة بقرار إلهي من فوق المذبح. وبالرغم من معارضة كل علماء الكنيسة لذلك لكن إنساق لهذا القرار الفاسد من يجهلون القانون الكنسي، ولا يفهمون روح القانون لهذا الرأي المُخالف.

كما لم تشمل اللائحة الجديدة بالتغيير أي من البنود المخالفة للقانون الكنسي بلائحة 1927، التي كان الشعب يطالب بتغييرها، التي سمحت للأسقف بالترشيح للبطريركية، الأمر الذي فرضه الملك فؤاد على المجلس الملي لاختيار الأنبا يوأنس مطران البحيرة، بالمخالفة الجسيمة للقوانين الكنسية، لأول مرة في تاريخ الكنيسة القبطية.

لكل ذلك قامت مجلة مدارس الأحد بمهاجمة اللائحة الجديدة وكانت مُحِقَّة تماما في كل ما كتبت. وكان تركيز الهجوم على ثلاثة أمور مخالفة القانون الكنسي. أولا بحرمان الشعب من الانتخاب. وثانيا بوضع شروط

للمرشح للبطريركية مخالفة. وثالثا نظام القرعة الهيكلية الذي يعتبر مخالفة جسيمة للكتاب المقدس ولقوانين الكنيسة خاصة للدسقولية التي تُحتِّم ضرورة قيام كل الشعب باختيار الراعي. ولقد وقف المثقفين مع النخبة القبطية من اللائحة الجديدة موقف المُعارض، كما أن المجمع المقدس كان به انقسام شديد حول اللائحة الجديدة ووقف على الأقل خمسة من الأساقفة موقف المحتج على تنفيذ تلك اللائحة المخالفة تماما لنص وروح القانون الكنسي. كان الدكتور وليم سليمان يرأس تحرير مجلة مدارس ، وهو الرجل القانوني الضليع والمستشار بمجلس الدولة. فبعد أن استمات في الدفاع عن القانون الكنسي المكسور، ولما لم يستجيب المسئولين بالكنيسة والدولة لصرخاته، قرر اعتزال العمل كرئيس لتحرير لمجلة مدارس الأحد احتجاجا على الإصرار على تطبيق اللائحة الجديدة ونظام القرعة الهيكلية في اختيار البطريرك الجديد.

بالرغم من كل تلك المخالفات التي كانت تحويها أسوء لائحة في تاريخ الكنيسة فإن أمر اختيار البطريرك الجديد كان موضوعا في يد أمينة هي يد الله القدير أولا ثم يد الأنبا أثناسيوس القائم مقام بطريرك. كان الأنبا أثناسيوس رجل قوي وحازم ومؤمنا بالقانون الكنسي أشد الإيمان، خصوصا فيما يخص عدم أحقية ترشيح الأسقف لمنصب البطريرك، وكان شخصا مهابا ووقورا لا يتجرأ أحد على مراجعته، فقام بمنع المطارنة والأساقفة من التقدم للترشيح لكرسي البطريرك. ثم قام باختيار خمسة من الرهبان القديسين بنفسه. ومن بينهم تم اختيار ثلاثة بالانتخاب وكانوا من الشخصيات المحبوبة للشعب، وهم الآباء الرهبان دميان المحرقي وأنجيلوس المحرقي ومينا البرموسي. ولقد تم الانتخاب بحسب اللائحة الجديدة حيث مُنع الشعب من الانتخاب، بل ومن بين أعضاء المجلس الملي السابقين لم يسمح بالانتخاب سوى لعضوين فقط، بينما كان الناخبين هم أعضاء لجنة الأوقاف القبطية المعينين من الحكومة، بالإضافة إلى ممثلين من إثيوبيا والسودان وأورشليم. بعد ذلك أجريت القرعة الهيكلية بين الثلاثة المنتخبين في يوم 19 إبريل عام 1959 حيث تم اختيار الراهب مينا المتوحد ليكون الجالس علي كرسي الإسكندرية والبطريرك 116 للكرازة المرقسية باسم الأنبا كيرلس

السادس. كان ذلك مدعاة لفرح كل الشعب بالاختيار المُوَّفق للبابا الجديد الذي لم يُحاول الوصول للمنصب ولم يبذل أي جهدا ليرشح نفسه أو ليُرشِحه أحدا سوى اختيار الأنبا أثناسيوس الموفَّق للمرشحين الخمسة.

أقف أماما تلك الأحداث متأملا ومُتعجبا ....
أبونا مينا الذي لم يُفكر في البطريركية صار بطريركا من خلال أسوء لائحة انتخاب بطريرك في التاريخ. إن تلك اللائحة المخالفة للقانون الكنسي والتي رفضها كل الشعب، نتج عنها البطريرك الذي يريده ويحبه كل الشعب!!!

قام بإعداد اللائحة مجموعة من الأقباط ليست لهم أية دراية بالقانون الكنسي، فكان كل همهم استبعاد مرشحي مدارس الأحد، وفرض هيمنتهم على الشعب القبطي. وهنا نشعر أن عصرا جديدا قد بدأ في المجتمع القبطي يتميز به طبقة الصفوة من التكنوقراط الأقباط، الذين كانوا غير مستوعبين للفكر الكنسي ومتباعدين عن الروح الكنسية، وذلك عكس من سبقهم من صفوة الأقباط في العصور السابقة الذين كانوا يجمعون بين التخصص العلمي والقيادة السياسية والفكر الكنسي الواعي. ولذلك كانوا يقودون العمل السياسي مع العمل القبطي بنجاح. فلو كان لتلك اللجنة الدراية بقوانين الكنيسة لكانوا يرضوا الشعب بتطبيق القانون الكنسي الذي لا يتعارض أبدا مع مطلب جمال عبد الناصر. لكن بسبب الجهل قدموا أسوء لائحة في تاريخ الكنيسة القبطية التي أضرت جدا بالكنيسة في ما بعد، كما أنها أساءت لعلاقة الأقباط بجمال عبد الناصر، حيث لم يغفروا له أبدا أخطاء اللائحة الجديدة مع استبعاده لمرشحي مدارس الأحد حين كانت شعبية مدارس الأحد طاغية.

من مميزات أو من العيوب الشديدة للمجتمع القبطي أنه يضع لنفسه قِيما ومُثُلا من يمسها يسقط في نظر الشعب إلى الأبد. الرأي الشعبي يعتمد على العواطف فلا يقوم على المنطق أو العقل. فبمجرد ما يعتقد الشعب في رأي من الصعب جدا تغييره. والشعب مستعد أن يدافع عن فكرته إلى أبعد مدى دون استعداد للحوار أو استخدام العقل. فكل شيء عند

الشعب مطلق، فإما خطأ لا يحتمل صوابا أو صوابا لا يحتمل خطأ. هذا الدرس مهم جدا لمن يريد أن يجد مكانته بين الشعب القبطي. فمجرد ما احتل مكانته من الصعب زعزتها مهما فعل، خصوصا إذا كانت تلك المكانة مرتبطة بفكرة القداسة. فالقديس في نظر المجتمع لا يخطئ، ومن يخطئ لا يمكن أن يكون قديسا بالضرورة، وهذا واحد من أكبر عيوب مجتمعنا القبطي العنيد. هذا المبدأ موجود بشكل عام في العرف البشري، لكن بصورة مُصغّرة جدا، بينما في المجتمع القبطي فمضخم ومبالغ فيه بسبب عاطفية الشعب، ويُعتبر من أسوء العيوب الاجتماعية. فمن المؤكد أنه لا يوجد مطلقا في الخطأ أو الصواب.

كان المفروض أن اختيار البطريرك الجديد من خارج دائرة مدارس الأحد أن ينهي الصراع بين المرشحين الثلاثة لمدارس الأحد، ولكن في الواقع اختيار أبونا مينا المتوحد بالذات، أضاف بعدا جديدا دفع لزيادة الصراع بين المرشحين الثلاثة، فتزايد واستعر واشتعل بصورة أكثر عنفا، واستمر في تزايد طوال عصر الأنبا كيرلس. وكان في كل يوم يتطور في أساليبه ووسائله حتى بلغ إلى مرحلة في غاية من العنف والخطورة. كان السبب في ذلك هو الصداقة القديمة والعلاقة الوطيدة الخاصة بين الأنبا كيرلس وأبونا مكاري السرياني، وكل أفراد مدارس أحد الجيزة. كان بلوغ الأنبا كيرلس لكرسي البطريرك يؤكد أن من سيخلفه على الكرسي هو صديقه القديم أبونا مكاري السرياني الذي كان يحمل له كل الثقة. أما بالنسبة لأبونا مكاري نفسه فكانت شعبية أبونا متى الضخمة موضعا لضيقه الشديد وخوفه. أما أنا فكنت أرقب الأمور بحذر شديد مترقبا لكل فرصة تساعدني على إثبات وجودي على الساحة القبطية. كانت الصداقة والعهد الذي قطعته مع الأب مكاري يشكل أهم الفرص المتاحة لي، وبالتالي فإن صداقة أبونا مكاري مع البابا الأنبا كيرلس السادس أتاحت لي فرصة كبيرة ساعدتني في تحقيق أهدافي وفي تسديد ضربات مؤثرة ضد كل من الأب متى المسكين والدكتور وهيب عطاالله الذي كان حتى ذلك الوقت يكن لي كل المحبة والثقة.

(9) أبونا مينا المتوحد... بطريركا باسم الأنبا كيرلس السادس واضطرام الصراع بين الرهبان على البطريركية

تم أجراء القرعة الهيكلية في يوم 19 إبريل عام 1959 لاختار البطريرك الجديد، حيث تم اختيار الراهب مينا المتوحد ليكون بابا وبطريرك الكرازة المرقسية وأسقف الإسكندرية الـ 116. ووسط أفراح شعبية تمت رسامته وتجليسه على كرسي مار مرقص باسم البابا كيرلس السادس في يوم 10 مايو عام 1959.

كانت مدينة الإسكندرية هي أكثر الأماكن فرحا في كل مصر برسامة البابا الجديد أسقف الإسكندرية. فمنذ 32 عاما والإسكندرية محرومة من أن يكون لها أسقفا مثل باقي أبراشيات السدة المرقسية، مع أنها أم كنائس مصر بحسب التقليد. المفروض أن أسقف الإسكندرية هو رئيس الأساقفة (متقدم الأساقفة حسب التعبير الكنسي الدقيق) الأمر الذي بدأه القديس مرقس الرسول، وأكد عليه القانون السادس لمجمع نيقيا المسكوني، الذي يمنع تماما أن يتولى سلطات البطريرك سوى أسقف الإسكندرية وحده. ولما قام ميليتس أسقف ليكابوليس (أسيوط حاليا) بالتعدي على عمل أسقف الإسكندرية في أيام القديس بطرس خاتم الشهداء قرر مجمع نيقيا المسكوني حرمه، بل واعتبر هرطوقيا لعدم إذعانه. ولم تتكرر تلك المخالفة إلا في القرن العشرين لتنفيذ أمر الملك فؤاد حين فرض مطران البحيرة على كرسي البطريرك ليتولى عمل أسقف الإسكندرية. لذلك منع رسامة أسقفا على الإسكندرية، فلو رسم للإسكندرية أسقفا فبموجب القانون سيكون هو البابا وليس أسقف البحيرة. واستمر ذلك الوضع الشاذ مع أسقفين آخرين مخالفين هما أسقف أسيوط ثم أسقف جرجا، اللذان تعديا على حقوق أسقف الإسكندرية وسلبا وظيفته ليقوما بعمل البطريرك دون وجه حق، وبالتالي مُنع رسامة أسقفا للإسكندرية أثناء عصر الثلاثة حتى لا يكون له الحق المشروع في استرداد سلطاته المغتصبة منهم، فأسقف الإسكندرية بقوة القانون هو البابا الشرعي للكنيسة. وبرسامة الأنبا كيرلس السادس على كرسي الإسكندرية عاد الحق المغتصب لأصحابه، وصار للإسكندرية أسقفا من بعد غيبة طالت 32 عاما، مما

ضاعف فرح السكندريون بالبطريرك الجديد. وفرح كل الشعب القبطي بالعودة للطقس الصحيح والالتزام بقوانين الكنيسة التي كانت مُعطَّلة بسبب عبث العابثين الطامعين في السلطة والمنصب.

مدارس أحد الجيزة كانت يربطها علاقة وطيدة مع البطريرك الجديد، فكان هو الأب الروحي لقادتهم وأب اعتراف معظم الخدام الكبار والصغار. وكانت له علاقة تاريخية خاصة جدا بالأب مكاري السرياني، الذي اشترك معه في جمعية ميناء الخلاص. لم يكن أبونا مينا ضمن تنظيم مدارس الأحد لكن بحكم وجوده بمصر القديمة وبحكم شهرته الروحية الواسعة كان خدام الجيزة يترددون عليه للاعتراف أو للصلاة معه. لا شك أن نشاط مدارس أحد الجيزة الضخم والمُتشعِّب والخدمة الكبيرة بين الشباب الجامعي كانت مثارا للإعجاب. أبونا مينا المتوحد اشتهر بتقواه وزهده المعروف في الكنيسة كلها، مما كان سببا لاختياره ضمن الخمسة رهبان المتميزين بالكنيسة القبطية، ليكون مرشحا للبطريركية. بمجرد ما أعلن اسم أبونا مينا المتوحد كأحد المرشحين حتى أحاط به صفوة المثقفين بالجيزة خصوصا خدام مدارس الأحد. وبعد اختياره للبطريركية كان أبونا مكاري لا يفارقه لحظة واحدة. وقام بعمل كل ترتيبات الاحتفال بالرسامة، وقام بدعوة رؤساء كنائس العالم للمشاركة في الاحتفال الكبير، كما شارك مجلس الكنائس العالمي في الاحتفال بتنصيب البابا الجديد للكرازة المرقسية، فكان الاحتفال برسامة الأنبا كيرلس مهيبا جدا وغير مسبوق في تاريخ الكنيسة القبطية، حيث شاركت فيه كل كنائس العالم لأول مرة بعد قطيعة الكنيسة القبطية عن الكنائس الأخرى منذ مجمع خلقيدونيا في القرن الخامس، وبعد عزلة الكنيسة القبطية بسبب الغزو العربي لمصر.

تولى أبونا مكاري كل مراحل تنظيم الاحتفال بالرسامة، وبعدها بدأ يدير كل أعمال مكتب البطريرك، فقام بتنظيم سكرتارية البابا على مستوى عالي، وقام بتعيين أفراد من مدارس أحد الجيزة وفيما بعد عين أبونا مكاريوس للإشراف على سكرتارية البابا التي كانت تدار بأسلوب أمريكي رفيع المستوى.

جمال عبد الناصر كان له شرط واحد في المرشح لكرسي مار مرقس ليخلف الأنبا يوساب البطريرك؛ هو إلا يكون من الرهبان الذين رشحتهم اللجنة العليا لمدارس الأحد، حين تزعزعت ثقته فيهم بسبب موقفهم من الأنبا يوساب. ومن أجل أن يضمن عدم وصول أحد منهم أجَّل انتخابات البطريرك لمدة ثلاث سنوات، وغيَّر لائحة انتخاب البطريرك في ظل غضب شعبي عارم، وشكل هيئة الأوقاف القبطية من مجموعة من الأقباط يضع فيهم ثقته. بعد كل تلك الحيطة إذ بالبطريرك الجديد الذي تم رسامته فعلا يحيط نفسه بكل من كان يخشى منهم عبد الناصر، فهم أنفسهم الذين يديرون سكرتارية البطريرك!!! مما لا شك فيه أن تقارير المخابرات كانت تنقل له مدى سيطرت ونفوذ السكرتارية على البطريرك الجديد. وكان ذلك يُعتَبر هزيمة ثانية لعبد الناصر أمام مدارس الأحد، إذ كانت هزيمته الأولى عندما حاول حماية الأنبا يوساب من العزل ففشل أمام الإجماع الشعبي تحت تأثير مدارس الأحد. سكرتارية البابا المدعومة من رهبان مدارس الأحد كانت من عوامل ضيق جمال عبد الناصر وعدم حماسه للبطريرك الجديد، فقابل رسامته وما بعد الرسامة بالفتور الشديد والإهمال المُتعمَّد. ومما زاد من المشكلة أن الأنبا كيرلس واجه ذلك الإهمال بإهمال مماثل. استمر فتور العلاقات بين البطريرك الجديد وجمال عبد الناصر مدة زادت عن تسعة أشهر، فلم يصدر قراراً جمهوريا بتعيين البابا الجديد. وتدخل السيد يوسف عديل عبد الناصر الذي كان يعرف أبونا مينا المتوحد من زمن بعيد، فكان يزوره هو وعائلته في الطاحونة. قام السيد يوسف بدعوة الأنبا كيرلس لزيارة بيت جمال عبد الناصر والصلاة لابنه المريض. وبعد الصلاة وشفاء الطفل صارت هناك صداقة حميمة بين عبد الناصر والبابا. وأعطى جمال عبد الناصر للأنبا كيرلس رقم تليفونه السري. وكانت لتلك الصداقة الرائعة بين الكبيرين أثرها في وحدة الشعب المصري.

لم تكن عودة الصداقة بين جمال عبد الناصر والبابا لتُوقف مشاعر الريبة والشك في نشاط مدارس الأحد خصوصا الجيزة وأبونا مكاري بالذات الذي كان يبادله نفس شعور العداء، بسبب منع رهبان مدارس

الأحد من الترشيح للبطريركية. كما لم ينس جمال عبد الناصر كل ما كتبه نظير جيد في مجلة مدارس الأحد ضد الأنبا يوساب، فكان يعتبرني ثوريا إرهابيا ضمن جماعة الأمة القبطية، التي كان يدعوها جماعة الإخوان المسيحيين.

بعد استقرار الأوضاع وسط الفرح الشعبي العارم برسامة الأنبا كيرلس السادس أول بطريرك شرعي بحسب قانون الكنيسة بعد ثلاث بطاركة مخالفين للقانون الكنسي. وببلوغ أبونا مينا المتوحد للسدة المرقسية صار أبونا مكاري السرياني في موقع السلطة والمقدرة بعد أن سلم له البطريرك الجديد سكرتاريته مع كامل ثقته. كان لا بد لي من استغلال الفرصة للقيام بعمل سريع مع أبونا مكاري ضد أبونا متى المسكين. فكتبه الجديدة التي ظهرت بعد كتاب حياة الصلاة كانت تضايقني فبقدر ما تحمل أسلوبه المميز في الكتابة كما في كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية إلا أنها لا تحمل اسمي الذي كان الاسم الوحيد الموضوع فوق كتاب حياة الصلاة، وفي مقدمة الكتاب.

كتابان جديدان الأول كتاب "الكنيسة الخالدة" ثم كتاب "العنصرة". كان ظهور الكتابين مُحرِّكا لكل ما يكمن بداخلي من مشاعر البغضاء والعداء والإحساس المرير بخيانة أبونا متى المسكين. وبينما أقوم بفحص الكتابين ظهر كتاب ثالث هو كتاب "البارقليط" الذي يعرض بأكثر استفاضة وتفصيلا موضوعا عن الروح القدس بشكل لم يُطرق من قبل في الكنيسة القبطية. أبونا متى استخدم أقوال الآباء بحنكة شديدة مما يُصعِّب على الناقد مهمة اتهامه بالبروتستانتية. وكانت تلك الكتب تزيد من شعبية أبونا متى المسكين، لذلك كان لا بد لي من القيام بعمل مضاد للكتب الجديدة، في سياق العمل المشترك بيني وبين أبونا مكاري.

الحديث عن الروح القدس في الكنيسة القبطية في ذلك الوقت كان غير محببا حيث لم يكن هناك من يستطيع أن يتكلم في اللاهوت بشكل علمي خصوصا عن الروح القدس. في نفس الوقت كان موضوع الروح القدس هو موضوع مطروق عند البروتستانت بينما الأقباط الأرثوذكس

يتجنبون الخوض فيه، ومن يحاول التوسع في الحديث عن الروح القدس كان يُتَّهم بالبروتستانتية. أبونا متى هو أول من تجرأ ليكتب في هذا الموضوع بتوسع معتمدا على فكر الآباء الأرثوذكس وأغلبهم من آباء الكنيسة القبطية. بقدر ما كان الإعجاب بالكتب الجديدة كبيرا جدا، بقدر ما كان أيضا يعطي الفرصة للهجوم عليه من الفكر القبطي التقليدي في ذلك الوقت. لم أكن لأجرأ على القيام بمهاجمة الكتب وحدي لأشكك في فكر وتعاليم أبونا متى التي تقوم على دراسات آبائية صعبة. فكان لا بد لي من الرجوع للدكتور وهيب عطاالله حتى يكون هجومي قائما على أساس قوي. كان الدكتور وهيب قد سبق له الاعتراض على بعض النقاط بكتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية قبل صدوره، لكن أبونا متى تغاضى عن كل اعتراضاته، وأصدر الكتاب دون اعتبار للتعديل الذي كان الدكتور وهيب يطلبه، مما ضايق الدكتور وهيب، وكنت أعرف كل ذلك.

كان قداسة البابا الأنبا كيرلس يستدعيني من وقت لآخر للعمل معه بالسكرتارية كما كان لي نشاط بالكلية الإكليريكية، فكانت فرصتي للاتصال بالدكتور وهيب. كما وجدت الفرصة لعرض على البطريرك اتهاماتي لكتب أبونا متى بالانحراف عن العقيدة، وفي ذلك الوقت كان البابا غاضبا جدا عليه بسبب ما كان يصله من شكاوى ووقيعة من السكرتارية بشكل مستمر. وكما توقعت، عند الحديث مع الدكتور وهيب وجدت عنده بعض الاعتراضات حول الكتب الجديدة لأبونا متى المسكين ومفهومه للروح القدس. فكنت أعرف أنه متمسك بالرؤية القبطية القديمة. وبدأت معه حوارا حول ضرورة الاعتراض بشكل رسمي كنسي على تلك التعاليم الجديدة الخطرة. فكان علينا أن نكون جاهزين بتقديم دراسة عن الكتب وما بها من مخالفات لاهوتية تتعارض مع تعاليم الكنيسة القبطية. بعد عدة لقاءات مع الدكتور وهيب عطاالله بهذا الخصوص، وبعد دراسة وافية تبلورت الاعتراضات حول مفهوم معنى حلول الروح القدس، فهل الروح القدس يحل علينا بصفته الأقنومية كما حل على السيدة العذراء لتلد الابن الكلمة، أم أنه مجرد حلول لمواهب الروح القدس فقط؟!!! هذا التساؤل تشعب لأبعاد كثيرة فيما بعد حتى شمل تساؤلات حول طبيعة المسيح وسر الإفخارستيا.

البابا الأنبا كيرلس دعا المطارنة وأساقفة الكنيسة لاجتماع المجمع المقدس وذلك لتدبير أمور الكنيسة المختلفة. كان ذلك فرصة لكي نحاول إضافة بندا لجدول أعمال المجمع، لمناقشة كتب أبونا متى المسكين، وما بها من انحرافات عن العقيدة الأرثوذكسية. وبمساعدة أبونا مكاري تم أقناع البابا بضرورة عرض الموضوع على المجمع المقدس. وكان مدعوا أيضا بعض من أعضاء المجلس الملي القديم. كان الهدف من اجتماع المجمع هو مناقشة قضايا الكنيسة بشكل عام، فأضيف إليها موضوع الاعتراضات على كتب أبونا متى المسكين بموافقة البابا.. استعددت لهذا اللقاء بقدر استطاعتي مُدعَّما بما تلقيته من معلومات من الدكتور وهيب عطاالله. حضر الاجتماع مطارنة الكنيسة الكبار حيث كانت لهم مهابة كبيرة وحضورا له خشية. كما حضر من أعضاء المجلس الملي القديم الأستاذ راغب حنا المحامي الذي أحضر معه ابنه المحامي الشاب حديث التخرج ماهر. وجاء دوري لعرض الموضوع حين شعرت لأول مرة في حياتي بالتردد وأن الموقف كان أكبر من إمكانياتي. ولكني تشجعت وبدأت في سرد ما اتفقت عليه مع الدكتور وهيب. وشعرت أن المطارنة أعضاء المجمع كانوا يتابعون كلماتي بنظرات تحمل مشاعر بين الإشفاق والاستهجان. ثم وقف الأستاذ راغب حنا ليرد عليَّ بأسلوب المحامي اللوذعي المتمرس على فن الدفاع ليُفنِّد كل ما قلت من الكتب. وأضاف إنها كانت فرصة رائعة ليتعرف فيها على أعظم كتب ظهرت في الكنيسة القبطية، فهو لم يصادف كتبا باللغة العربية بهذه القوة والروحانية. وانتهى الأمر بإجماع الآراء على أرثوذكسية الكتب المعروضة للأب متى المسكين مع اعتبار أن الشكوى مجرد حسد لأبونا متى. فانتهى ذلك الجهد بعمل دعاية أكثر لكتب أبونا متى داخل المجمع المقدس. كان الموقف ليس فقط مُحبطا لي بل وكان مُحرجا للأنبا كيرلس نفسه. أما أبونا مكاري السرياني الرجل الدبلوماسي الرائع فقال للبابا إن الدروس المستفادة من هذا الاجتماع هو ضرورة تدعيم المجمع المقدس برجال يساندوك داخل المجمع. وكانت النتيجة فيما بعد عدة رسامات منها؛ رسامة أبونا مكاريوس السرياني أسقفا على بني سويف باسم الأنبا أثناسيوس وهو الذي تسبب في إبعاد أبونا متى

ورهبانه من دير السريان في المرة الثانية، ورسامة أبونا متياس السرياني أسقفا على الجيزة باسم الأنبا دوماديوس وهو الذي كان له الدور الرئيسي في إبعاد أبونا متى من دير السريان في المرة الأولى، ورسامة الأسقفيين العموميين قبل ذلك وكلهم كان يجمعهم شيءً واحداً هو العداء الشديد للأب متى المسكين بسبب الصراع على الكرسي.

في هذا المجمع أيضا تم نقاش موضوع قانونية دير الأنبا صوئيل المعترف الذي كان يرأسه البابا الأنبا كيرلس (أبونا مينا المتوحد قبل رسامته). ولكن لأسباب غريبة في عصر الأنبا يوساب صدر قرار من المجمع المقدس أن الأديرة القبطية سبعة فقط وليس من بينها دير الأنبا صموئيل. وفي هذا الاجتماع تم تصحيح هذا الوضع مع اعتبار الأديرة القانونية ثمانية أديرة منها دير الأنبا صموئيل المعترف.

لم تكن نتائجه اجتماع المجمع المقدس في صالحنا، في وقت كان فيه أبونا مكاري يبحث عن فرصة للقيام بعمل سريع ضد أبونا متى المسكين. الأنبا كيرلس ومعه كل الشعب كان يضايقه وجود الكثير من الرهبان خارج الأديرة، وكثير منهم يجولون في البيوت طلبا للإحسان، فكان ذلك يعطي صورة مذرية للراهب. أصدر البابا قرارا يقضي بعدم السماح للرهبان بالخدمة في كنائس المدن مع ضرورة عودة جميع الرهبان لأديرتهم في خلال أسبوع وإلا يُعتبر الراهب مطرودا ويُجرَّد من رهبانيته ومن كل الرتب الكهنوتية. القرار كان حازما وصائبا وضروريا حيث كان تواجد الرهبان خارج الأديرة يسيء للكنيسة جدا.

وجد أبونا مكاري في قرار البابا فرصته للقيام بعمل سريع وعنيف ضد أبونا متى المسكين. كان قد سبق للأنبا يوأنس مع مدارس أحد الجيزة أن فكروا في استغلال قرار المجمع المقدس القديم باعتبار دير الأنبا صموئيل ليس من الأديرة القانونية كوسيلة يمكن بها تشتيت الرهبان من حول أبونا متى المسكين. وبعد قرار الأنبا كيرلس بعودة الرهبان للأديرة وجد أبونا مكاري ذلك فرصة لتحقيق فكرة تشتيت الرهبان. سكرتارية البابا قامت بنشر قرار عودة الرهبان لأديرتهم في جريدة الأهرام، مع

إضافة للقرار عبارة أثارت التعجب، فذكر الإعلان أن الأديرة القبطية القانونية هي سبعة أديرة فقط ليس من بينها دير الأنبا صموئيل المعترف، مع أن قرار المجمع المقدس الأخير كان قد اعترف بدير الأنبا صموئيل ضمن الأديرة القانونية!!! الجمع بين عدم اعتبار دير الأنبا صموئيل ديرا قانونيا مع قرار البابا بعودة الرهبان لأديرتهم كان يعني تطبيق القرار على الأب متى المسكين ورهبانه، فلا بد لهم من أن يتركوا دير الأنبا صموئيل فورا والرجوع لديرهم الأصلي (دير السريان) وإلا جردوا من رهبانيتهم. وتبع ذلك الإعلان تلغرافا أرسله البابا للأب متى المسكين يطالبه بالعودة إلى دير السريان هو وكل الرهبان الذين معه.

أبونا مكاري كان قد رتب الأمور تماما بأن أقنع الأنبا كيرلس بخطورة استمرار تواجد أبونا متى في دير الأنبا صموئيل المُنعزل، وأنه يلزم تفريق تلك المجموعة من الرهبان وتوزيعهم على الأديرة حتى لا يُشكلوا تكتلا ضد البطريرك. فكرة تشتيت الرهبان من حول أبونا متي قديمة وعرضت مرات كثيرة من قبل ورفضها الرهبان بشدة. لكن بعد ما تولي الأنبا كيرلس البطريركية أصبح الأمر مُلِحّاً، فعلى الأقل يلزم وضع أبونا متى ورهبانه تحت الرقابة والسيطرة بدير السريان. وكان ذلك القرار يعني قدر الثقة التي أولاها الأنبا كيرلس لصديقه القديم أبونا مكاري حتى انه يستخدم اسم البابا وسلطانه بحرية كاملة. في نفس الوقت الذي يوضح إلى أي حد اهتزت ثقة البابا في أبونا متى المسكين ومن معه من رهبان بسبب الوقيعة التي يقوم بها صديق البابا الحميم والعدو اللدود لأبونا متى المسكين، بسبب الصراع على كرسي البطريرك.

أسرع الأب متى المسكين بالذهاب إلى القاهرة لمقابلة الأنبا كيرلس البطريرك الذي قابله بجفاء شديد. حاول أبونا متى أن يسأله عن أسباب ذلك الغضب عليه، وإن كان قد وصل البابا أي كلام ضده حتى يستطيع أن يوضح موقفه، إلا أن البابا أبدى رفضه لأي حوار قبل رجوعه لدير السريان. وهنا قال أبونا متى للبابا أنت أكثر من يعرف الظروف التي خرجنا بسببها من دير السريان، وأن عودتنا للسريان لا تعني إلا المزيد

من المتاعب مع عدم إمكان ممارستنا لحياتنا الروحية في جو من العداء الغير مفهوم، لكن البابا أصر عل موقفه مع رفض أي شكل من الحوار.

جمع أبونا متى المسكين رهبانه ليبلغهم بقرار العودة الفورية لدير السريان تنفيذا لأوامر البابا، فأعد الرهبان كل حاجاتهم للرحيل. أبونا إندراوس الصموئيلي الراهب الكفيف - وهو من رهبان دير الأنبا صموئيل القدامى - أصر على عدم مغادرة الدير حتى لو ظل لوحده حتى لا يتحول الدير القديم إلى مكان مهجور، فاعتبر مغادرة الدير خيانة لرهبانيته. كان الرهبان في حيرة شديدة كيف لهم أن يتركوا الراهب الكفيف مع رهبان عجزة دون وجود أحد ليرعاهم؟!!! حاولوا إقناع أبونا إندراوس بالذهاب معهم إلا أنه رفض تماما، فلم يجدوا حلا سوى أن يصلوا من أجله ويتركوه مع مشاعر الأسى للموقف الإنساني الصعب. ثم عادوا إلى الدير الذي يلفظهم، تنفيذا لأوامر قداسة البابا البطريرك.

عاد أبونا متى ورهبانه إلى دير السريان في يناير عام 1960، فاستقبلهم الأنبا ثيئوفيلس رئيس الدير بفرح حقيقي حيث كان يهمه دائما أن يكون ديره عامرا بالرهبان المثقفين، خصوصا أبونا متى المسكين الذي كان تربطه به علاقة ومشاعر قوية قديمة، فكان يُجله ويهابه ويحبه في أعماق نفسه، رغم كل الوقيعة والخلافات التي حدثت. كان الأسقف رجلا بسيطا له قلب طفل رغم كل مظهره الرهباني الصارم. لم تكن المشكلة مع رئيس الدير بقدر ما كانت فيمن أعدوا لأبونا متى المكائد المحكمة وكانوا يوغرون صدر البطريرك والأسقف ضده. كان كل ذلك بسبب شعبية أبونا متى التي كانت تُأرِّق مدارس أحد الجيزة، كما أصبحت تقلقني أنا الراهب أنطونيوس بشكل شخصي بعد أن كانت تلك الشعبية قبلا موضعا لفخري وزهوي.

ما زاد الأمر تعقيدا هو رهبنة الأستاذ عبد المسيح بشارة بدير السريان باسم أبونا مكاريوس وهو الصديق الشديد الحماس لأبونا مكاري السرياني. الأستاذ عبد المسيح بشارة كان يعمل مدرسا للغة الإنجليزية، وفي نفس الوقت كان أمين مدارس أحد كنيسة العذراء بالفجالة. وكانت

له صلات متعددة بأفرع مدارس الأحد المختلفة فكان يتردد على اجتماعات الشباب للعديد من الكنائس، وكان عضوا في اللجنة العليا لمدارس الأحد. إلا أن صلاته بالأب مكاري كانت تحمل خصوصية ومحبة شديدة، حتى أنه عند رهبنته اختار اسم مكاريوس. كان ذلك الاسم هو اسم عمه البطريرك الأنبا مكاريوس الثالث، أحد البطاركة الثلاثة الذين كسروا القانون الكنسي بترشيحهم وقبولهم لمنصب البطريرك وكان يحمل رتبة الأسقفية إذ كان قبلا مطرانا لأسيوط. أبونا مكاريوس الراهب الجديد كان يذكر دائما أنه يعتز باسمه ليس بسبب قرابته للبابا بقدر ما هو قريب من أبونا مكاري السرياني صديقه الحميم.

يتصف أبونا مكاريوس بالقوة والصرامة والإصرار على ما يريد فعله بشكل فيه تحدي وجرأة بالغة. بعد رهبنة أبونا مكاريوس اختاره أسقف الدير ليكون الربيتة (المسئول عن الإدارة) فكان صورة من الحزم مع شيء من العنف في نفس الوقت. كان ذلك يتوافق مع رغبة الأسقف. وبدأ يُشرِف على بيت الخلوة بنفسه مع محاولة إبعادي أنا وأبونا شنودة السرياني عن البيت وعن اللقاء بالشباب. كان يتولى بنفسه اللقاء مع الزوار، ولأنه كان أستاذا لدرس الكتاب للعهد القديم، بالكلية الإكليريكية، فكانت له المقدرة على الحديث اللبق والوعظ، مما ساعده على إدارة بيت الخلوة بثقة وتمكُّن. كان يمزج حديثه الروحي الوعظي بالدعاية المستمرة لأبونا مكاري والإشادة به مع الهجوم العنيف المستمر على الأب متى المسكين الذي كان يصفه بالهتلرية والنازية. ولم يكن يجد الفرصة إلا وهاجم فيها جمال عبد الناصر بسبب إيقافه لانتخابات البطريرك واستبعاده لأبونا مكاري الذي كان يعتبره الشخص الوحيد المناسب للمنصب. كان أيضا يسمي عبد الناصر هتلر ويجمع بينه وبين الأب متى المسكين الذي كان يُحذِّر بشدة من وصوله لكرسي البابا، حيث كان يُصوِّر ذلك بالكارثة الكبرى على الكنيسة القبطية. من المؤكد أن ذلك الحديث كان يصل للمسئولين بالدولة مما يسيء أكثر لمدارس الأحد ومرشحيها. رغم تحالفي مع أبونا مكاري في نفس الاتجاه الواحد ضد أبونا متى إلا أن أبونا مكاريوس كان كثيرا ما يتجاهلني كمرشح لمدارس الأحد، مع أننا كنا أصدقاء وزملاء في الخدمة والتدريس في الكلية

الإكليريكية، فكنت أنا مدرس للعهد الجديد بينما هو يدرس العهد القديم. كنت أقدم منه في الرهبنة في وقت ازداد عدد تلاميذي من الرهبان في دير السريان حيث أصبح لي قوة وسطوة يُعمَل حِسابها، إلا أن أبونا مكاريوس بما اتصف به من خشونة صارت له القوة والنفوذ والسطوة في الدير بشكل أصبح يتصارع مع نفوذي.

بوصول أبونا متى لدير السريان انشغل أبونا مكاريوس في تدبير كل أنواع المتاعب له ولرهبانه إذ كان في انتظاره وفي كامل الاستعداد لذلك اللقاء غير السعيد. وكثيرا ما كان يطلب مساعدتي له.

لم يكن حضور أبونا متى وتلاميذه لدير السريان بالأمر المريح بالنسبة لي، فمنذ مغادرتي لدير الأنبا صموئيل والجراح لم تلتئم بل كانت تتزايد عمقا وألما، ولا شك أن المواجهة كانت مريرة، بعد قطيعة استمرت ما يقرب من ثلاثة أعوام، لم ينقطع فيها الصراع من على بُعد. كان رهبان أبونا متى قد تناقصوا إلى سبعة رهبان، فأحد الرهبان كان قد توفى حيث لم تحتمل صحته الحياة الخشنة بدير الأنبا صموئيل إلى جانب عودة ثلاثة رهبان في البداية ثم عودتي. وكانت تربطني بجميعهم رُبُط قوية حتى من قبل رهبنتي، ولكن بعد خروجي تغيرت المشاعر كثيرا وتوترت فكان اللقاء معهم ليس مُريحا. المواجهة مع أبونا متى حركت مشاعري بالغضب الشديد بشكل لم أكن أنا نفسي أتصوره.

لم تدم إقامة أبونا متى المسكين هو وتلاميذه في دير السريان تحت كل تلك الصراعات والضغوط النفسية، وهم محاطين بشخصيات تُظهر لهم العداء بشكل مستمر مع كل تصرف. ولم يكن أبونا متى هو الشخص الذي يقبل أو يحتمل أن يرى تلاميذه وهم يتعرضون لتلك المهانة، خصوصا اثنين من العلمانيان اللذان كانا قد حضرا معه من دير الأنبا صموئيل، حيث كانا في فترة الإعداد للرهبنة. فتعرضا للطرد من دير السريان، وأُبلغ عنهما البوليس في اتهامات غريبة لمنعهما من الاقتراب من الدير. ولم يعد المجال ليسمح بأي شكل لممارسة الحياة الرهبانية التي أصبحت أمرا مستحيلا في ذلك الجو من التآمر والصراع والكراهية

بل والغدر. لم يكن عسيرا على أبونا متى المسكين أن يقرر مغادرة الدير فالتقى مع الأسقف واتفق معه على أن يغادر الدير هو وكل الرهبان الذين حضروا معه من دير الأنبا صموئيل مع السماح لهم بأخذ كل متعلقاتهم حتى التي كانوا قد تركوها في المرة الأولى ليقوموا بإخلاء القلالي. وتم كل ذلك بسرعة، فغادر أبونا متى الدير مع رهبانه يوم سبت لعازر الموافق 9 إبريل عام 1960.

رحل الرهبان إلى بيت التكريس بحلوان حيث أصبحوا لأول مرة بلا دير يقبل أن يأويهم. كان أبونا متى المسكين أقام بيت التكريس لما تجمع حوله مجموعة من الشباب الذين فكروا في التكريس بعيدا عن الرهبنة. فوضعوا نظاما للتكريس وهم يعيشون في العالم وليس في دير، واضعين أنفسهم لكي يستخدمهم الله في أي عمل، خاصة من أجل خدمة التعليم والكلمة. هؤلاء الشباب لجئوا للأب متى المسكين ليرشدهم في طريقهم الروحي، وفي البداية بدأ نشاطهم في بيت استأجروه في حدائق القبة، وفي عام 1958 كان أحد القصور الملكية القديمة المهجورة معروضا للإيجار بسعر مناسب، وكان بحالة جيدة ويحوي عددا كبيرا من الحجرات، فاستأجره الأب متى المسكين كمركز لنشاط المكرسين الذي كان يشرف عليه بنفسه. ولما خرج الرهبان من دير السريان بعد ذلك الوضع المذري لم يجدوا سوى بيت التكريس بحلوان ليأويهم بشكل مؤقت لحين التفكير في حل والعثور على دير يقبلهم.

حتى هذه اللحظة، وبالرغم من كل ما حدث، لم تكن علاقة الأنبا كيرلس بأبونا متى ولا بالرهبان المرافقين له سيئة، بل بالعكس فكان البابا يعرف كل واحد منهم وتربطه بكل منهم علاقة شخصية قوية. في ذلك الوقت أنا كنت موجود في سكرتارية البابا أنا وأبونا شنودة السرياني، وكان الجو متأزما للغاية، فكنا نريد الفكاك من هذا المكان. كانت السكرتارية كلها دسائس ومؤامرات وغموض وضغينة بشكل مزعج والبابا لا يدري، وكان يدير مكتب السكرتارية أبونا مكاري مع مجموعة من الجيزة كما كان أبونا مكاريوس بين الدير وبين مكتب السكرتارية ليصنع الأزمات. وبعد احتكاك شديد مع السكرتارية قررنا أنا وأبونا شنودة مغادرة

سكرتارية البابا فورا، وفعلا تركنا المكان وعدنا إلى الدير. وتعجبنا جدا عندما عرفنا أن الأنبا كيرلس اتصل بالأب متى المسكين وطلب منه أن يرسل له اثنين من رهبانه بالاسم للعمل في السكرتارية بدلا منا، هما أبونا موسى وأبونا كيرلس وكان الأنبا كيرلس يحمل لهما محبة وإعزاز خاص. كان ذلك يؤكد على أن الأنبا كيرلس مازال يحمل في نفسه الود لأبونا متى ورهبانه، كما أن استجابة أبونا متى السريعة لطلب البابا لا تحتمل إلا أنه مازال يحمل له الود والتقدير، وذلك أمر لا يريحني ولا يريح أبونا مكاري أكثر مني. أنا كنت متأكد من أن السكرتارية لن تترك الراهبين يعيشان في سلام بأي شكل فهم خبراء في الوقيعة والفتن خصوصا لراهبين من طرف أبونا متى المسكين. وحاول البابا رسامة أبونا كيرلس قسا إلا أنه رفض بشدة وبعد فترة وجيزة ترك السكرتارية وعاد لبيت التكريس وبقي أبونا موسى وحده يعمل في سكرتارية البابا.

بعد طلب البابا من أبونا متى الراهبين لمعاونته في السكرتارية لم أكن لأتوقع أبدا سرعة تغير الأحداث بهذا الشكل، ولا أن مقدرة أبونا مكاري الهائلة في التأثير على البابا قد تصل لهذه الدرجة. كان هناك بعض المناوشات من حين لآخر بسبب كثرة الشباب الذين يترددون على بيت التكريس وأن بيت التكريس كان مفتوحا للجميع، وفعلا استجابة لطلب البابا أمر أبونا متى بغلق أبواب بيت التكريس وتحديد الزيارة بمواعيد مسبقة وفي أضيق الحدود. ولكن في يوم 11 أغسطس عام 1960 في الساعة الثانية صباحا طرق باب بيت التكريس في حلوان اثنين من المطارنة هما الأنبا بنيامين مطران المنوفية والأنبا مينا مطران جرجا ومعهما خطاب من البابا يطلب من أبونا متى ورهبانه مغادرة القاهرة في خلال 24 ساعة وإلا سيُوقِّع عليهم الحرم.

لم يكن أبونا متى مرتاحا لاستمراره هو والرهبان في بيت التكريس بحلوان بالرغم من أن موقع البيت كان منعزلا والمكان في غاية من الهدوء، إلا أنهم كرهبان لم يكن لهم راحة إلا في تواجدهم في دير يسمح لهم بممارسة الحياة الرهبانية بحرية. عندما كان أبونا متى في دير الأنبا صموئيل كانت له سياحات يتوغل فيها في عمق الصحاري،

وكثيرا ما كان يأخذ معه الرهبان في رحلات بعيدة في قلب الصحراء. وفي أثناء تجواله تعرف على وادي شمال دير الأنبا صموئيل بنحو 50 كيلومتر في أعماق الصحراء تجاه الفيوم اسمه وادي الريان. كان بهذا الودي آبار ماء رغم ملوحتها إلا أنها يمكن استخدامها لفترة محدودة. وكان أبونا قد زار ذلك المكان عدة مرات وقضى فيه أياما يتعبد فيها. وبعدما تركوا دير السريان وذهبوا لبيت التكريس كان أبونا من وقت لآخر يرسل الرهبان لقضاء فترات بوادي الريان. ولما وصلهم خطاب الباب الذي يقضي بمغادرتهم القاهرة في ظرف 24 ساعة لم يكن أمامهم حل سوى الذهاب والاستقرار في ذلك المكان القسي وهو الوحيد الذي كان معروفا لديهم. وفعلا قاموا بجمع احتياجاتهم وتدبير أمورهم للتحرك لوادي الريان بحسب المهلة الصغيرة المتاحة بحسب أمر البابا.

وفي الصباح الباكر كانوا يعدُّون أنفسهم للرحيل، فأحضروا سيارتين جيب وضع فيهما احتياجاتهم، أثناء ذلك فوجئ الرهبان بحضور الأنبا بنيامين مطران المنوفية لبيت التكريس للمرة الثانية. وقابل أبونا متى وأعرب له عن عدم رضاه عن تصرف البابا وأعطى الحل لجميع الرهبان، وقال ابنوا مذبح وصلوا وأقيموا القداسات وأنا المسئول أمام الله والكنيسة. وطلب نيافته أن يقف كل الرهبان أمامه وصلى التحليل على رؤوسهم واحدا فواحد. وأعطى صليبه لأبونا متى وملابس كهنوتية ولوحا مكرسا وشيعهم بالبركة والدعاء، وعندما كانت العربات جاهزة للتحرك، كان المطران يشيعهم بالدموع ولم يكن يعرف وجهتهم. وبعد الرحيل ذهب الأنبا بنيامين للأنبا كيرلس وعاتبه على تصرفاته مع الرهبان وأبلغه أنه أعطاهم الحل، فمن ذلك اليوم صار بينهما نوع الحساسية. ولم يكن الأنبا بنيامين هو الوحيد الغير راضي عن تصرفات البطريرك التي كانت مبعثها كلها مكتب السكرتارية، بل الكثير من الأساقفة بدأ يشعر بعدم الرضى عما يصدر عن سكرتارية البابا.

كان أبونا موسى ما زال يعمل في سكرتارية البابا حيث لم يعطه البابا أي تعليمات بمغادرة مكتبه بينما كل رهبان أبونا متى كانوا قد غادروا لوادي الريان. فرغم كل التطورات الغريبة ظل أبونا موسي في مكتب

سكرتارية البابا يؤدي كل ما يطلب منه من أعمال في هدوء، رغم كل ما هو محاط به من جو عدائي بالإضافة للدسائس والفتن. واستمر أبونا موسى حتى شعر بأنه غيري مرغوب فيه ويلزم مغادرته للمكان، فذهب للبابا وطلب منه السماح له بمغادر المكتب، "سأله البابا عايز تروح فين؟؟ عايز برضه تروح معاهم" (أي مع أبونا متى في وادي الريان) فلما أجابه بالإيجاب أعطي له الحل بمغادرة السكرتارية، لكنه قال له لما تروح هناك مش حتصلي!!! وبذلك تجمع كل رهبان أبونا متى معا في وادي الريان.

بعد خروج أبونا متى لوادي الريان نُشر في جريدة الأهرام إعلانا مدفوع الأجر مُوقَّعا من الأنبا ثيئوفيلوس رئيس دير السريان، يقرر فيه حرم الأب متى المسكين ويجرده من جميع رتبه الكنسية والرهبنة، هو وكل الرهبان الذين بصحبته، وذلك في يوم 17 اكتوبر عام 1960. قرار الحرم هذا لم يصدر عن البابا ولم تقره الكنيسة بأي شكل، كما أنه كان يفتقر للشرعية، حيث لا يجوز قانونا أن يصدر قرارا بحرم جماعي، كما أن القانون لا يجيز الحكم بالحرم أو التجريد من الكهنوت دون توجيه أي اتهام ودون أي تحقيق ودون شهود. فهذا القرار اعتبر مجرد إعلان في الجريدة بدون أي فاعلية أو قيمة.. وصار كأنه لم يكن..

(10) حرب تكسير العظام في الصراع على الكرسي المرقصي

بعد جهد جبار نجح أبونا مكاري وأنا الراهب أنطونيوس في إبعاد أبونا متى المسكين عن القاهرة بقرار من البابا، وتبع ذلك نشر بيان في جريدة الأهرام مُوقعا من الأنبا ثيئوفيلوس رئيس دير السريان، يحرم فيه الأب متى المسكين ويجرده من جميع رتبه الكنسية والرهبنة، هو وكل الرهبان الذين بصحبته وذلك يوم 17 اكتوبر عام 1960. ورغم أن قرار الحرم لم يصدر عن البابا كما أنه كان يفتقر للشرعية، حيث لا يجوز قانونا أن يصدر قرارا بحرم جماعي. والقانون لا يجيز الحكم بالحرم أو التجريد من الكهنوت دون تحقيق ودون توجيه أي اتهام. إلا أن ذلك الإعلان الذي نشر على صفحات الجرائد كان له صدا شعبيا هائلا، أثار الشعور بالاستياء الشديد. بل كانت هناك حيرة شديدة أمام ثقة الناس ومحبتهم لأبونا متى، وبين احترامهم وتعلقهم بالبابا الأنبا كيرلس السادس، كما كان للأنبا ثيئوفيلوس الكثير من المحبين. كان الهدف من كل ذلك تحطيم شعبية أبونا متى المسكين التي كانت تتزايد في كل يوم مع إصداره لكتبه الجديدة. كانت الحكمة التي تدار بها الأمور تُبعِد الشبهة عنا تماما، فالقرارات كلها تصدر باسم البابا أو باسم رئيس الدير مما كان يُحيِّر الناس جدا. أما المتابعون للأمور من شباب وخدام مدارس الأحد فكانوا يعلمون تماما أن أبونا مكاري هو الذي كان وراء كل تلك الأحداث، مما كان له الكثير من الآثار السلبية على عملنا الواحد. والبعض بدأ يتهمني أني أشترك مع أبونا مكاري في محاربة الأب متى المسكين. كانت مدارس الأحد بكل فروعها ترى في أبونا متى أنه القديس والمُصلح والمُجدد المُرسل من السماء لإنقاذ الكنيسة، خصوصا كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا وكنائس الإسكندرية. الجيزة وحدها بدأت تشن هجوما عنيفا ضد أبونا متى، وشجعها على ذلك أبونا مكاريوس السرياني وما كان يصدر عنه من مقولات عنيفة ضده.

لقد شعرت بالحُريَّة بذهاب أبونا متى لوادي الريان حيث أستطيع التفرغ للعمل. كان أكثر المناوئين لي بعد ذلك هو أبونا مكاريووس السرياني

بالرغم من أني كنت أتعاون معهم بحسب التعهد الذي قطعناه أنا وأبونا مكاري للعمل معا نحو هدف واحد. أبونا مكاري وحده كان مازال صريحا معي جدا ولطيفا، ويطلعني على كل تحركاته وأهدافه وخططه البعيدة والقريبة بكل وضوح. وبقدر ما كان ذلك يطمئني على استمرار علاقتنا التي احتاج إليها، إلا أنه كان يخيفني جدا من شخصيته وعمق تفكيره وخططه الجهنمية، ففي كل يوم كنت أتأكد أنه ليس الشخص المأمون الجانب بأي حال، وبقدر لطفه الشديد معي، كان المحيطين به لا يخفون العداء لي ولكل من يتبعني ويعمل معي.

بعد إزاحة أبونا متى بدء أبونا مكاري يتحرك بنشاط واسع بكل حرية على جميع المستويات السياسية والعالمية ليعمل على الترويج لنفسه ومعه كل مدارس أحد الجيزة. لقد دفع الكنيسة القبطية لتقوم بتوجيه الدعوة لمجلس الكنائس العالمي لعقد مؤتمره لعام 1962 في القاهرة. كان ذلك المؤتمر يعقد كل ست سنوات في إحدى المدن الكبرى في العالم. وكان قد عقد مرتين فقط من قبل. لم يمضى وقت طويل حتى وافق المجلس على تلك الدعوة بشكل نهائي فتقرر عقد المؤتمر في القاهرة كان ذلك يعطي أبنا مكاري فرصة هائلة لازدياد شعبته. بدأ الإعداد لذلك المؤتمر الكبير قبل انعقاده بأكثر من عام. وكان يلزم إعداد النشرات المصاحبة للمؤتمر، لذلك فكر في أن يُشرك قادة مدارس الأحد والشخصيات ذات النفوذ في إعداد تلك النشرات، التي قد تدفعهم لعمل الدعاية الكافية للمؤتمر الدولي وسط المثقفين الأقباط خاصة الشباب. طلب أبونا مكاري من صديقين قديمين التعاون معه في الإعداد للمؤتمر هما الدكتور وليم سليمان المستشار بمجلس الدولة والدكتور مراد وهبة أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، فطلب منهما مساعدته في إعداد تلك النشرات. طبعا وافقا في الحال لكنهما لم يكن لهما أي خلفية أو معرفة سابقة بمجلس الكنائس العالمي، فطلبا منه أن يُحضر لهما بعض الوثائق ليتعرِّفا على أهداف المجلس وجوانب نشاطه. أسرع أبونا مكاري بإحضار بعض من محاضر جلسات المجلس السابقة وسلمها للصديقين لعمل النشرات الدعائية للمؤتمر. بعد دراسة وافية لأعمال المجلس السابقة من شخصيتين على مستوى علمي وثقافي رفيع أخذتهما الدهشة

بل والرعب، فكانت أول وأهم قرارات مؤتمرات مجلس الكنائس هو التأييد الكامل لإسرائيل في كل ما ارتكبته من جرائم ضد شعب فلسطين. بدأ الصديقان يتحاوران، هل ممكن أن يعقد مؤتمرا مثل هذا في مصر بدعوة من الكنيسة القبطية في عام 1962؟!!! وكم ذلك سيجر من المخاطر علي الشعب القبطي والكنيسة القبطية؟!!! وهل الشعور المصري الوطني يمكن أن يقبل ذلك؟!!!

قرر الصديقان معا ليس فقط رفض التعاون مع أبونا مكاري، بل إن واجبهما القبطي والوطني يُحتَّم عليهما العمل على رفض الكنيسة القبطية لاستضافة المؤتمر في مصر. بدأ الحديث أولا مع أبونا مكاري الذي غضب جدا ورفض الحوار معهما في الموضوع وطلب منهما إعادة كل المستندات التي. حاول الصديقان معا عرض الموضوع على المسئولين في الكنيسة فلم يجدا من يستطيع أن يفهم ماذا يقولان. كان لا بد لهما أن يقوما بعمل عاجل وقوي لإيقاف حضور هذا المؤتمر لمصر بينما الإدارة الكنسية ترفض حتى الاستماع لهما لتأييدها المطلق لأبونا مكاري دون تفكير. في ذلك الوقت كان أبونا متى المسكين قد حضر إلى بيت التكريس للعلاج من حالة مرضية وإعياء شديد أصابه بسبب المياه المالحة التي يعيشون عليها بوادي الريان، في نفس الوقت جاء ليبحث عن مكان صحراوي آخر ليعيش فيه الرهبان حيث أن المياه المالحة قد تسببت في مرض الرهبان. فكر الصديقان في اللقاء مع أبونا متى لعرض عليه الموضع الخطير الخاص بمجلس الكنائس العالمي، وفعلا اتصلا ببيت التكريس وحصلا على موعد للقاء مع الأب متى المسكين.

في الموعد المحدد وصل لبيت التكريس الدكتور وليم سليمان والدكتور مراد وهبة فوجدا أبونا متى المسكين في استقبالهما. ولما عرضا عليه الموضوع الخطير بكل تفاصيله سأل؛ ماذا يمكني أن أعمل والكنيسة تطردني ولا تسمح لي حتى بالتواجد بالقاهرة؟ ما هو سلطاني ومقدرتي حتى أتصرف في هذا الموضوع الخطير؟!!! اقترح الدكتور وليم سليمان أن يُصدر نشرات تُوزَّع على الشعب القبطي، للتوعية بالخطر المحدق بالكنيسة القبطية، مع المطالبة بمنع استضافة الكنيسة لهذا المؤتمر. مرة

أخرى سأل أبونا متى وما هو دوري في ذلك؟ ولماذا أتيتم لي؟ وكيف يمكن مساعدتكم وأنا في هذا الوضع الذي لا أملك فيه أن أساعد نفسي ولا رهباني من الظلم الواقع علينا؟ أنا مقتنع برأيكما وخطورة الموقف، لكن مع كامل اقتناعي لست أملك أي عمل. اقترح الدكتور وليم سليمان على أبونا متى أن تلك النشرات التي أعدها لتشرح موقف مجلس الكنائس العالمي، وخطورة عقد المؤتمر في مصر، لو أمكن إصدر تلك النشرات باسم بيت التكريس بحلوان، علما بأنه سيضع اسم وليم سليمان عليها وهو المسئول عن كل ما جاء بها، حيث أن وضع بيت التكريس على المنشور سيضفي عليه من الأهمية حتى يقرأه كل من يتسلمه. وبعد حوار طويل وافق أبونا متى على وضع اسم بيت التكريس على المنشورات التي كتبها الدكتور وليم سليمان. صدرت أربعة منشورات كلها تقتبس من واقع المستندات ومحاضر جلسات مجلس الكنائس العالمي، ووُزِّعت علي كل الكنائس في القاهرة والإسكندرية بل وفي بعض المدن الأخرى.

أحدثت منشورات الدكتور وليم سليمان ثورة وضجة كبيرة في كل كنائس مصر خصوصا بين الشباب، بل أحدثت بلبلة وانقساما في الرأي وحوارات طويلة وعنيفة. نسى الكل اسم الدكتور وليم سليمان الموضوع على المنشورات، وصورها البعض على أنها حرب انتقامية مُعلنة من أبونا متى على أبونا مكاري كرد وتخليص حقوق لما فعله به من تشريد. بينما البعض الآخر كان يُقدِّر خطورة المسئولية حيث يُعرِّض أبونا مكاري الكنسية مع الشعب القبطي كله لمخاطر جسيمة حتى يعمل دعاية لنفسه. لكن أهم ما في الموضوع أن تلك المنشورات كانت الوسيلة الوحيدة لتنبيه إدارة الكنيسة للخطر، فلم تملك تصرفا آخر سوى الإسراع بمنع المؤتمر من الحضور للقاهرة. وبذلك حقق الدكتور وليم سليمان الهدف من المنشورات الأربعة التي أصدرها تباعا.

لم يكن حادث المنشورات ليمر بسهولة فبدأت رئاسة الكنيسة تتوجس خيفة أكثر من أبونا متى المسكين الذي صوره أتباع أبونا مكاري على أنه عدو الكنيسة الذي يطعنها من الخلف، وبدأت محادثات طويلة مع

أبونا متى الموجود للعلاج في بيت التكريس فقام أبونا شنودة السرياني بزيارته ووجه إليه اتهامات خطيرة وعنيفة، يتهمه بعدائه وخيانته للكنيسة. ورد عليه أبونا متى بكل قوة. واتسع مجال الحوار الذي شاركت أنا فيه، كما شارك فيه كل من الدكتور وليم سليمان والدكتور مراد وهبة. كان وليم سليمان دبلوماسيا في حديثه محاولا أن يشرح المخاطر بينما مراد وهبة كان عنيفا فظا هاجمني كما هاجم أبونا مكاري بعنف. كان موقفي الدفاعي عن أبونا مكاري يتلخص في أنه وقف بكل شجاعة في مجلس الكنائس ليدافع عن حقوق الشعب الفلسطيني، فلقد استطاع أن يعرض القضية الفلسطينية في وقت كانت القوة الصهيونية تعرض أفكارها وحدها، فوجود ممثلا من جانب الكنيسة القبطية وهو أبونا مكاري السرياني ودفاعه عن القضية الفلسطينية كان لازما حتى يُحدِث توازنا لدى المجلس الذي كان يستمع لجانب واحد فقط هو الجانب الصهيوني. وكان ردهم إن ذلك لا يعني دعوة الكنيسة للمجلس ليعقد مؤتمره في القاهرة الأمر الذي قد يسيء لكل الأقباط. ولما قمت بالتشكيك في موقف أبونا متى الذي هدفه ليس وطنيا بقدر ما هو يحارب أبونا مكاري، بسبب الصراع على منصب البطريرك، وأنه يخون الكنيسة ويُعرِّضها للخطر بتلك المنشورات. وهنا تدخل مراد وهبة بعصبية مؤكدا أن أبونا متى ليس له دور في الموضوع واتهمني أنا وأبونا مكاري أننا نستغل كل فرصة لمجرد الإساءة لأبونا لتحقيق أغراض معروفة، وأهانني بشكل شخصي وغادر الاجتماع. وحاول وليم سليمان التهدئة وتسكين الغضب إلا أني أظهرت له رفضي الكامل للمنشورات التي أصدرها وما قام به مراد وهبة من تصرف.

كانت هناك اجتماعات كثيرة تتم في البطريركية بهذا الخصوص وكان بعضها يشترك فيها الأنبا كيرلس بنفسه الذي كان يشعر بالحرج الشديد، وموقفه الذي أصبح ضعيفا مهتزا أمام الدولة وأمام جمال عبد الناصر، الذي كان بدأ يتحسن من بعد أزمات شديدة. وفي إحدى الاجتماعات حضر الأنبا يوأنس مطران الجيزة ، وكان ثائرا جدا على أبونا متى المسكين وأخذ يتوعده وقال للبابا "أنا حأخلصك منه قريبا".

لا شك أن تلك الأحداث قد زعزعت الثقة في أبونا مكاري على المستوى الشعبي العريض فأضرت جدا بموقفنا معا كحليفين، وبدأ الحديث يزيد جدا بين خدام مدارس الأحد عن الصراع على كرسي مار مرقص، وطبعا كان ذلك عكس كل ما نحاول أن نخفيه تماما لنظهر زهدنا ورفضنا للمناصب الكنسية. كان الهدف من دعوة مجلس الكنائس العالمي لعقد اجتماعه في القاهرة هو أن يرى الأقباط المكانة المُبهرة لممثلي الكنيسة القبطية عالميا، وكل ذلك كان يخدم أهدافنا في تحقيق الشعبية المطلوبة. وبدلا من ذلك فإن النتيجة لما حدث كان انتكاسة شديدة لشعبية أبونا مكاري وبالتالي لتحالفنا معا. وفي نفس الوقت اهتزت شعبية أبونا متى المسكين، فأصبح هناك كثيرون يهاجمونه بعنف وبشكل معلن ومن يتهمونه بخيانة للكنيسة وكان أغلبهم من الجيزة.

مخابرات عبد الناصر كانت تتابع كل شيء بمنتهى الاهتمام والتدقيق لكن عن بعد، وكان كل ذلك يُبلِّغ لعبد الناصر الذي احتفظ بصمته إزاء كل ما حدث، مع رقابة سلوك الأقباط في هذا الموقف ما بين مؤيد لأبونا مكاري وبين معارض له. والمعارضون هم من اعتبرهم عبد الناصر المخلصين لقضايا الوطن، وكان لذلك أثره في أن قرب عبد الناصر له كل من الدكتور وليم سليمان والدكتور مراد وهبة فيما بعد. في نفس الوقت وُضِعت الجيزة تحت الرقابة الدقيقة أكثر من الأول. ومن الأمور التي أحدثت الكثير من الإثارة حول الموضوع هو محاولة اغتيال الرئيس الغاني كوامي نيكروما بعد سنة واحدة فقط من تلك الأحداث. الرئيس نكروما كان يعتبر أهم الأصدقاء الأفارقة لجمال عبد الناصر، فكانت هناك محاولات لاغتياله ثم بعد ذلك عزله، فكانت ضربة عنيفة سددها الاستعمار لعبد الناصر نفسه لإضعاف نفوذه السياسي كزعيم للقارة السوداء ومؤتمر الوحدة الإفريقية. أما خطورة الموضوع في أنه قد ثبت من التحقيقات أن من دبر محاولات اغتيال الرئيس الغاني هما اثنان من الأساقفة أعضاء مجلس الكنائس العالمي. وكان ذلك الخبر بمثابة قنبلة أثارت الوجوم بين الذين كانوا يدافعون عن موقف أبونا مكاري، كما أثارت الكثير من الحوار داخل أروقة الكنيسة، والشعور بانتصار من قاوموا عقد دورة مجلس الكنائس العالمي في مصر،

فشكروا الله الذي ألهمهم لما فعلوه حتى يُجنِّبوا الكنيسة الكثير من المخاطر. كان الدكتور وليم سليمان يُعلن سعادته بما حققه لخير مصر والكنيسة. في نفس الوقت أصبح أبونا مكاري تحت الرقابة وأصبح محدودا ومحصورا في تحركاته وسفرياته للخارج ومقابلاته التي صارت موضعا للريبة والشك، وبدأ يكثر من السفر لروسيا وسويسرا بدلا من أمريكا.

بدأ أبونا متى في البحث عن مكان آخر للإقامة غير وادي الريان الذي اضطروا للذهاب إليه على عجل بعد قرار البابا المفاجئ بمغادرتهم القاهرة في ظرف 24 ساعة. فبدأ أبونا متى في البحث عن مكان تتوفر فيه المياه الصالحة للشرب، ويمكن حفر مغاراتهم فيه. أشار عليه بعض الأصدقاء باللجوء للدكتور رشدي سعيد، فهو أكثر العلماء المصريين خبرة بالصحاري المصرية. اتصل أبونا متى بالدكتور رشدي الذي حدد موعدا لاستقباله في منزله. ولما ذهب للقائه كان موجودا عنده خبيرا آخرا في الأراضي المصرية وهو المهندس مصطفى العيوطي، وهو من مشاهير مهندسي الري الأكفاء الذي شارك في كبرى المشروعات الهندسية التي كانت تُجرى في ذلك الوقت. اقترح الدكتور رشدي مع المهندس العيوطي موقعين يفيان بالغرض أحدهما في الصحراء الشرقية في وادي غمير الممتد من مدينة الصف حتى البحر الأحمر. الموقع الآخر بالصحراء الغربية على شاطي البحر الأبيض غرب الإسكندرية. وفي كلا الموقعين المياه العذبة موجودة بوفرة مع سهولة استخراجها من الأرض.

موقع وادي غمير كان أكثر مناسبة لقربه من بيت التكريس بحلوان حيث يسهل إمدادهم بالغذاء والدواء فقام أبونا متى بمعاينة الوادي واختار موقعا مناسبا بالقرب من بئر غمير الصالح للشرب. فاشترى خمسة أفدنة في صحراء ذلك الوادي. وترك الرهبان وادي الريان للموقع الجديد وبدءوا في تمهيد الأرض وعمل سور وبناء قلالي. كانت أول مفاجأة عندما وصلت شكوى إلى المخابرات أن رهبانا أتوا لهذا الموقع للقيام بأعمال التجسس وأن لديهم أجهزة لاسلكية كما يتخاطبون مع الطائرات

بالمرايا. فوجئ الرهبان بحضور عربة بوليس أخذت ترقب الموقع أولا ثم حاصروا المكان وأوقفوا الرهبان مشهرين عليهم السلاح بشكل مرعب، ثم أخذوا في تفتيش الخيام والرهبان بكل دقة. ولما لم يعثروا على شيء سألوا الرهبان عن المرايا وأجهزة اللاسلكي والأسلحة التي لديهم فتبين بوضوح أن ليس لديهم أي شيء خصوصا أن الأجهزة اللاسلكية لا يمكن أن تخفى فيسهل جدا الكشف عنها. ثم أخذوا أبونا متى معهم إلى مباحث أمن الدولة لاستكمال التحقيق معه حيث بدأ الاستفسار بشكل تفصيلي عن كل تاريخهم وكل ما حدث لهم وأسباب تواجدهم في هذا الموقع. وتبين أن جمال عبد الناصر كان يتابع الموضوع بنفسه بكل اهتماما حيث رُفعت صورة من التقرير لعبد الناصر وأخرى لوزير الداخلية. وبعد التأكد من سلامة موقفهم تماما صار هناك شكلا من الصداقة بين الرهبان والبوليس في المنطقة، الذي كان يخشى عليهم في هذه الصحراء ويحاول حمايتهم من التعرض للمخاطر ويحرص على زيارتهم من وقت لآخر.

لم يمضي سوى شهر واحد على الحادث الأول حتى فوجئ الرهبان باستدعاء مباحث أمن الدولة لأبونا متى المسكين بصورة فجائية ومريبة، مع التحذير من عدم استخدام بئر المياه لأنه مسمم. وأطلع رئيس المباحث أبونا على المؤامرة التي قامت بها إدارة الكنيسة (بحسب قوله) لمحاولة قتلهم بإلقاء الزرنيخ في البئر الوحيد الذي يستخدمونه في الشرب. وقام بعمل محضر بالحادث سجل فيه الكثير من التفاصيل المُروِّعة التي أذهلت أبونا متى. الدكتور رمزي فهيم الصيدلي بمدينة الصف وهو الشاهد على الواقعة اتصل ببيت التكريس وطلب مقابلة أبونا متى ولما حضر أطلع أبونا على كل تفاصيل المؤامرة. الأنبا يوأنس مطران الجيزة طلب من الدكتور رمزي شراء نصف جرام من الزرنيخ وهي كمية تعتبر كبيرة جدا، فبعد نقاش أنقصهم المطران إلى ربع جرام. من يطلب شراء الزرنيخ هو المطران بنفسه الذي تتبعه مدينة الصف، والصيدلي يعرفه معرفة شخصية فلم يُفكِّر الصيدلي في الأمر وسلمه الزرنيخ بحسن نية. ولما غادر المطران الصيدلية ارتاب الدكتور رمزي في الأمر، فتتبع سير المطران حتى رآه وهو يسلم الزرنيخ لبعض

الأعراب، فذهب الصيدلي وأبلغ البوليس!!! وهكذا بلغت الحرب إلى ذروتها بين الجيزة وبين أبونا متى. بعد ذلك الحادث قرر أبونا متى مغادرة المكان هو ورهبانه بعيدا عن محافظة الجيزة وعادوا إلى وادي الريان حيث وصلوا إليه في يوم 14 نوفمبر 1961.

العجيب في الأمر أنه بعد سنة واحدة من ذلك الحادث قُتِل الأنبا يوأنس مطران الجيزة مسموما بالزرنيخ!!! مُلخص الحادث أن الأنبا يوأنس كان مدعوا لفرح في مطرانية الجيزة بشارع مراد، وبعد أن دخل الكنيسة شعر بكحة فغادر الكنيسة وصعد إلى حجرته ليأخذ دواء الكحة ويعود للفرح. لكنه بدلا من الدواء تناول جرعة من الزرنيخ سقط على أثرها ميتا في الحال. ولما لم يرجع للفرح، حاول البعض استعجاله فوجدوه ملقا على الأرض ميتا وفي يده ملعقة السم، فأبلغوا البوليس الذي حضر بسرعة وقبض على كل فراشين الكنيسة. كان الخبر في الجرائد مُروِّعا، وكان اشتباه النيابة في كلا من أبونا مكاري السرياني وأبونا صليب سوريال اللذان احتجزا لساعات طويلة. إلى أن تدخل جمال عبد الناصر حرصا منه على كرامة الكنيسة، وحُفِظ التحقيق لعدم ثبوت الأدلة.

كان السؤال الهام كيف وصل الزرنيخ إلى حجرة نوم الأسقف؟ فهل المطران كان قد احتفظ بجزء من الزرنيخ الذي استخدمه في محاولة قتل أبونا متى للقيام بعملية أخرى؟!! أم أنه زرنيخ آخر أحضره هو أو آخرون لغرفة نوم الأسقف؟!! ربنا وحده يعلم الحقيقة، لكن كل الدلائل تؤكد على أن المخابرات كانت تتابع تصرفاتهم بأكثر دقة خصوصا بعد محاولاتهم الأولى لقتل أبونا متى ورهبانه. أبونا صليب سوريال أفرد فصلا كبيرا في مذكراته عن مقتل الأنبا يوأنس دافع فيه عن الاتهامات التي كانت قد وجهت إليه في الحادث حيث كان هو في وقت الحادث مدعوا لفرح خارج القاهرة.

أبونا متى المسكين بعد العودة لوادي الريان كان مازال يبحث عن موقع أخر للرهبان، حيث كانوا معظم الرهبان في حالة من الإعياء والتعب بسبب مياه البئر المالحة بوادي الريان. ذهب أبونا للبحث عن موقع جديد

على شاطئ البحر الأبيض غرب الإسكندرية بحسب نصيحة المهندس مصطفى العيوطي له. كان الطريق إلي مطروح موحشا جدا تمتد الصحاري على جانبيه بلا أي شكل من الحياة حتى مرسى مطروح بل وتمتد بعد ذلك حتى ليبيا. آثار جيش رومل وصراعه الأسطوري مع جيوش الحلفاء تعطي للمكان وحشة وتغلفه بمهابة صرخات دماء سالت تطلق زفرات أنينها. يقطع من حين لآخر ملل الصحاري الموحشة بعض العرب المتفرقين الذين يضربون بخيامهم أو يقيمون أكواخهم البدائية. سار أبونا متى على الطريق حتى وجد منطقة بعيدة عن العرب وقام بشراء قطعة أرض من أحد الأعراب على شاطئ البحر بعيدة تماما عن أي عمار. قام بعمل أسوار للأرض وتبين أن مساحتها 38 فدانا، ثم بدأ في بناء قلالي للرهبان. وأثناء العمل فوجئ بحضور البوليس ومعه أمر من وزارة الداخلية بإيقاف العمل وذلك بحسب طلب من البطريركية. أحد النجارين العاملين مع أبونا متى في المباني كان أيضا يعمل في مباني دير ماري مينا بمريوط مع أبونا متياس السرياني صديق أبونا مكاري القديم. وبحسن نية أبلغ النجار أبونا متياس أنه يقوم بالعمل في موقع آخر مع أبونا متى في الساحل الشمالي. قام أبونا متياس بعمل اللازم لإبلاغ سكرتارية البابا حيث تم الاتصال بوزارة الداخلية لإيقاف العمل، وبذلك فرض على أبونا متى والرهبان الذين معه الاستمرار في وادي الريان رغم ملوحة المياه.

(11) أساقفة جدد ونظام الأسقف العام

بدأ عام 1962 ونحن نواجه إحباطا في جميع المجالات، فكان أبونا مكاري وأنا نشعر بتراجع كبير، فكل جهودنا انتهت بنتائج سلبية ليست في صالحنا، سواء على مستوى الدولة أو على مستوى الكنيسة أو على المستوى الشعبي. حتى مجلس الكنائس العالمي اضطررنا إلغاء اجتماعه. الدولة تراقبنا بأجهزتها وتشعر بالريبة وعدم الثقة فينا. معظم أساقفة الكنيسة يقفون ضدنا بشكل واضح وكل يوم يزداد رصيدنا من الأعداء والعداء، بل وبعض الأساقفة تتعاطف بشدة مع أبونا متى المسكين مما يضعف موقف الأنبا كيرلس، بل وذلك كان يضعفنا أمام الأنبا كيرلس. وحتى متى ممكن أن يحتملنا الأنبا كيرلس ويدافع عن موقفنا؟ معظم فروع مدارس الأحد بدأت تقاومنا بشكل مُعلن لأول مرة وذلك دفاعا عن الأب متى المسكين خصوصا كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا. لم يكن يقف بجانبنا سوى مدارس أحد الجيزة ورغم قوتها وأهميتها لكنها لا تستطيع أن تقف وحدها. أما الدكتور وليم نفسه مع الكثيرين من صفوة المثقفين يقفون ضدنا.

كان الأنبا كيرلس مازال تحت التأثير القوي لأبونا مكاري الذي كان يتولى كل شئون البطريركية من الناحية الإدارية هو ورجاله. سكرتارية البابا كانت تضم عددا كبيرا، حتى أنه في وقت كان بينهم اثنين من رهبان أبونا متى المسكين اللذين اختارهما البابا بنفسه. لكنهما غادرا خصوصا بعد الرحيل لوادي الريان. وكان البابا يدعوني من حين لآخر للاشتراك في أعمال السكرتارية وكنت أحضر على مضد إلى أن أجد الفرصة للعودة للدير حيث كان الجو بسكرتارية البابا غير مريح. ورغم تحالفي مع أبونا مكاري إلا أن هيمنته على كل مجريات الأمور في البطريركية كانت تضايق الكثيرين، فأصبح هو الشخص الوحيد الظاهر في الكنيسة بجوار البابا. ولكن كل ذلك كان أفضل جدا من البقاء بجوار أبونا متى الذي تشرد هو ورهبانه ولم يعد له ظهور في المجتمع الكنسي إلا من خلال كتبه التي كانت تصدر من وقت لآخر، وكانت تسبب لي أنا مع أبونا مكاري ضيقا شديدا. كانت مهمتي إزاء تلك الكتب أن أظهر ما

فيها من انحراف فكري وهرطقة، وكانت المهمة صعبة لكنها كانت ضرورية. وبدأ البعض من كتاب الجيزة في مساعدتي في هذا الشأن لكن لم تحظى كتاباتهم بالاهتمام الشعبي، ولم تصمد أمام كتب أبونا متى.

أبونا مكاري كان حائرا جدا ولأول مرة أراه غاضبا وغير واثقا في خطاه. وكنا دائمي الحوار نتدارس الموقف المتدهور. كان التعاهد بيني وبين أبونا مكاري يطمئني بعض الشيء مع أنه هو نفسه غير مأمون الجانب، فكلما كنت أتعرف عليه أكثر وكلما يبوح لي بخططه الخطيرة كانت تهتز ثقتي فيه أكثر، فلم أكن أطمئن لعهوده ووعوده. لكني في ذلك الوقت كنت أُثبت قدماي وأجمع الكثير من الرهبان حولي، والمؤيدين لي من الشعب، فأنا اليوم أصبحت لي جبهة شعبية ثالثة واضحة المعالم إلى جانب أبونا متى المسكين وأبونا مكاري. وكان الدكتور وهيب عطا الله نفسه يؤيدني حتى ذلك الوقت هو والقيادات القديمة لكنيسة الأنبا أنطونيوس مثل المهندس لبيب راغب والدكتور راغب عبد النور.

الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف الرجل الوقور انتقل من عالمنا الفاني في عام 1962، بذلك أصبح لنا أملا أن نزرع في المجمع المقدس واحداً من الذين يؤيدوننا. لم يترك أبونا مكاري الفرصة تمر فلم يمضي وقت طويل حتى تمت رسامة صديقه الحميم أبونا مكاريوس أسقفا على بني سويف، وأعطاه البابا اسم أثناسيوس تبركا وتذكارا للراحل العظيم الذي كان البابا يحبه ويُجلُّه. كان لتلك الرسامة أهمية خاصة فالأنبا أثناسيوس الجديد هو أكثر من يحمل العداء للأب متى المسكين، وهو الذي كان السبب في خروجه من دير السريان للمرة الثانية هو وكل الرهبان التابعين له، بعد أن تعامل معهم بمنتهى القسوة والمهانة. وجود الأنبا أثناسيوس في المجمع المقدس معناه أن حرم أبونا متى المسكين بشكل قانوني أصبح قريبا، كما أن وجوده بالمجمع يدعم تحالفنا أنا وأبونا مكاري في المجمع المقدس، ويُعتبر قوة في أي ترشيح وانتخابات مُقبلة للبطريرك.

بعد رسامة الأنبا أثناسيوس جاءني أبونا مكاري وهو في ضيق شديد. قال؛ مضى ثلاث سنوات وبعد كل هذا الصراع ليس لنا سوى صوتا

واحدا في المجمع المقدس، هو صوت الأنبا أثناسيوس، فمتى تكون لنا الأغلبية؟!! لا نعرف كم من السنيين سننتظر حتى ينتقل عدد من الأساقفة والمطارنة إلى الراحة الأبدية حتى نتمكَّن من السيطرة على المجمع المقدس. وهل سنقدر في كل مرة يموت واحد منهم أن نفرض أحد رجالنا مقابلا له ؟!!! لا بد من أن نقوم بعمل شيءً حاسماً لأن الوقت لم يعد في صالحنا. سألته، ماذا تريد أن نفعل.. قل لي ماذا يدور في فكرك من خطط؟!!!!!

قال؛ لا بد أن نكون أنت وأنا ضمن أعضاء المجمع المقدس، وبسرعة حتى نستطيع أن نسيطر على الموقف الذي أراه يفلت من أيدينا. قال أبونا مكاري ذلك في ضيق وإصرار.. ثم أضاف؛ صحيح أبونا متى المسكين ملقا في الصحراء في حالة يرثى لها هو ورهبانه، لكن يجب ألا ننسى أن كتبه اليوم في كل بيت تعمل له الدعاية القوية.. ونحن بعد كل هذا الجهد المضني نتراجع...

سألته؛ وما هي الوسيلة التي ممكن بها أن نكون ضمن المجمع المقدس دون الرسامة لرتبة الأسقفية؟ ولو تمت رسامتنا أساقفة فالقانون الكنسي يمنع ترشيحنا للبطريركية.. هل نسيت كل ما كتبناه وجاهرنا به ضد الأنبا يوساب، لأنه كان أسقفا قبل أن يقبل تجليسه بطريركا على كرسي مار مرقص؟!!!! هل تريد أن نكرر مأساة الأنبا يوساب؟!! بعد كل ما قلنا وكتبنا ضده في هذا الموضوع... لست أظن أن هناك من سيرحمنا.. فكم ستتطاول علينا الألسن!!!

يا أبونا أنطونيوس؛ تُرى لماذا أنا ألجأ إليك؟!!! ألا تستطيع أن تبحث في تاريخ الكنيسة عن مخرج لنا من هذا المأزق؟!!! ربما نجد ولو سابقة واحدة نرتكز عليها. أنا لا أرى أي أمل لنا قبل وصولنا للمجمع المقدس والسيطرة عليه. هل عندك حلا آخر؟

قلت له سأحاول... دعني أبحث في الكتب!!!

بعد تفكير عميق وجدت أن أبونا مكاري مُحقا فيما يقول... لن يكون لنا أي أمل ما لم يكن لنا وجود وتأثير في المجمع المقدس، بينما اليوم المجمع كله يهاجمنا.. كل المطارنة والأساقفة بالمجمع دائمي الشكوى من فساد سكرتارية البابا، وبالرغم من أن البابا مازال لا يشعر بذلك فهو يعيش في عالمه الخاص، بين التسبحة والقداس. لكن الشكاوي كثرت جدا وهي شكاوي حقيقية.. فكرت لو أبونا مكاري تم رسامته لرتبة الأسقفية وحده فهل سيكون ذلك أفضل حيث سأكون أنا الراهب الوحيد الذي ينطبق عليّه كل شروط الترشيح للبطريركية بعد حرم أبونا متى، بينما الدكتور وهيب عطاالله ليس راهبا ولا ينوي الرهبنة، وبذلك لا تنطبق عليه الشروط... ولكن لو أبونا مكاري صار أسقفا لوحده فلن يحتاج لي مرة أخرى، حيث سيكون في وضع مؤثر جدا على الأحداث، ولن يعطيني أي فرصة لا هو ولا الأنبا أثناسيوس... وهل ممكن أن يتركني أبونا مكاري راهبا لو رسم هو لرتبة الأسقفية؟ مستحيل!!.. الأمر كل يوم يزداد صعوبة وأصبح مُحيرا جدا ويلزم سرعة الحل لأن الوقت ليس في صالحنا فعلا.

بدأت أنبش في التاريخ القديم والحديث لعلي أجد ثغرة. كل شيء في تاريخ الكنيسة القبطية ضدنا، رغم أن الكنائس الأخرى لم تعد تحترم قرارات مجمع نيقيا في الواقع العملي، ولا المجامع التي جاءت بعده التي أكدت على قرارات نيقيا الخاصة بعدم جواز رسامة الأسقف لأكثر من أسقفية أو نقله من أسقفية أصغر إلى أسقفية أكبر وأكثر غنى وسلطان. لماذا تتمسك الكنيسة القبطية بهذه القوانين وحدها وبهذا التزمت؟! المشكلة الأكبر هو ما قمنا به من ثَورات في مدارس الأحد ومجلتها في تحدي بالغ لسلطة البطريرك المخالف للقانون الكنسي. مقالات مجلة مدارس الأحد لم يجف بعد مدادها، ولم ينسى أحد عنف الهجوم على الأنبا يوساب فكيف يجوز لنا أن نبرر ارتكابنا لنفس المخالفة التي كنا نعتبرها جريمة لا تغتفر؟!!! وبسبب تلك الجريمة تشوهت جدا سمعة الرجل وسهل خلعه. هل ما نحن فيه من ورطة هو ذنب الأنبا يوساب الذي لم يرد علينا ولا مرة، وعلى هجومنا عليه رغم أنه البطريرك؟!!!

آخر قرار في تاريخ الكنيسة القبطية هو مجمع الأساقفة الذي عُقِد في زمن الأنبا دمتريوس الثاني البابا 111 في عام 1865 وتقرر فيه أن أي أسقف يُرشح نفسه للبطريركية يُعتبر مخالفا لقوانين الكنيسة وهو بذلك يحرم نفسه من الكنيسة. وختم المجمع قراراته، [لا نُسلِّم ولا نسمح قط للكهنة وشعب الكرازة المرقسية بحل وتعدي هذه الحدود الأبوية وكل من يطلب هذه الرتبة من الأساقفة أو المطارنة أصحاب الكراسي أو سعى فيها أو رضي بها أو أحد سعى له في أن يطلبوه لها كاهناً كان أو رئيس كهنة أو علمانيا يكون محروما]. لم أنسى أن ذلك القرار كان هو آخر ما نشرته في المقال الافتتاحي لمجلة مدارس في آخر عدد كنت فيه رئيسا لتحرير للمجلة قبل رهبنتي. فقرار المجمع قطع خط الرجعة على مجرد السعي لترشيح الأساقفة الأمر الذي كان مرفوضا من الشعب القبطي في القرن التاسع عشر. ولم تحدث المخالفة إلا في القرن العشرين لأول مرة في تاريخ الكنيسة، عندما تمسك الملك فؤاد بالأنبا يوأنس مطران البحيرة وفرضه على المجلس الملي والمجمع المقدس لاختياره بطريركا بالقوة، دون إرادة الشعب. التاريخ القديم والحديث ضدنا، والشعب واعي جدا ويعرف الحقيقة.

إن ذلك المجمع الأخير كان قد عقد بسبب الصراع العنيف الذي حدث عند انتخاب الأنبا كيرلس الرابع. عقب نياحة البابا بطرس الجاولي البطريرك 109. كان هناك إجماعا شعبيا على اختيار الراهب داود الأنطوني للبطريركية الذي كان محبوبا من الجميع ومن معظم المطارنة. البابا كان أرسل الراهب داود في مهمة صعبة بالحبشة، وبعد مرور سنة من ذهابه للحبشة تنيح البابا قبل عودة الراهب داود من مهمته. ورغم عدم معرفة موعد لعودة الراهب داود فقد اختاره الشعب بالإجماع ليخلف البابا بطرس. الأنبا يوساب مطران أخميم في ذلك الوقت، الذي كان يطمع في منصب البطريرك أحاط نفسه بمجموعة من أعيان الشعب لترشيحه للبطريركية، بينما كان الشعب متمسكا جدا بالراهب داود وكان يرفض ترشيح أسقفا لمنصب البطريرك لمخالفة ذلك للقانون الكنسي. وبدأت المشاكل تستفحل حين اتصل أعوان المطران بعباس باشا حاكم مصر وحصلوا على موافقته برسامة المطران للبطريركية. بعد جهود

كبيرة نجح الشعب الواعي في إيقاف رسامة المطران، لكن أعوان المطران أشاعوا أن الراهب داود قد توفى في الحبشة. وظل الشعب متمسكا بعدم رسامة المطران، وبعد مرور أكثر من ثلاثة شهور رجع الراهب داود فجأة من الحبشة فاستقبله الشعب بالفرح، ولم يكن الراهب يعلم بخبر نياحة البابا ولا باختياره للبطريركية. ولما تحرك الشعب والمطارنة لرسامة أبونا داود بطريركا، قام أعوان الأسقف باختلاق المشاكل فزعموا أن الراهب داود كان قد تزوج من حبشية أثناء وجوده هناك.. ولما فشلت كل محاولاتهم ذهبوا وأقنعوا عباس حاكم مصر أنه بحساب اليازرجة تأكد المنجمون أنه لو تمت رسامة أبونا داود بطريركا فإن عمر عباس سينتهي في الحال. ارتعب عباس وقرر عدم رسامة الراهب داود بطريركا للكنيسة. ولما كان الشعب يتعجل رسامة الراهب الذي يُجمِع عليه، اجتمع أراخنة الشعب مع الإكليروس وفكروا في حيلة وهي رسامة أبونا داود باسم أسقف عام الكرازة المرقسية، وفي الواقع لم يكن ذلك اللقب إلا ليعني البطريرك. وذهبوا إلى عباس وأقنعوه بالرسامة فوافق على ألا يرسموه بطريركا. وتمت رسامته أسقفا عاما للكرازة المرقسية باسم الأنبا كيرلس. ولما توفى عباس وتولى سعيد باشا جلّسوا الأنبا كيرلس على كرسي مار مرقس بطريركا وبذلك انتصرت إرادة الشعب ضد إرادة أي أسقف يحاول أن يغتصب كرسي البطريرك. ولذلك تم عقد ذلك المجمع من المطارنة والأساقفة الأقباط الذي يقطع خط الرجعة على كل من يحاول ترشيح كل من سبق رسامته لرتبة الأسقف لمنصب البطريرك.

بعد استعراضي لأحداث اختيار البابا كيرلس الرابع طرأت على ذهني فكرة خبيثة.. لقد تم رسامة الراهب داود أسقفا عاما للكرازة المرقسية أولا ثم تم تجليسه على كرسي مار مرقس لما أصبحت الظروف مناسبة**!!!** لماذا لا نستفيد من ذلك ونطبق هذه الفكرة العبقرية، ولكن يلزم أن نُفصِّلها علينا. أسقف عام الكرازة المرقسية لقب جميل ثم يتم تجليسه بطريركا. ولكن ماذا يمكن أن يكون عمل ذلك الأسقف؟ فهذا سيكون أول سؤال يُطرح علينا، ما عمله وما هو لزومه؟ وهل يمكن رسامة أكثر من أسقف عام للكرازة المرقسية؟**!!!** كان لا بد من التشاور

مع أبونا مكاري، حتى نضع التفاصيل لهذه الفكرة، وهل يمكن أن نقنع بها الأنبا كيرلس؟!!!

- عرضت الفكرة على أبونا مكاري فتلقفها بفرح شديد.. ليس هناك الآن كرسي شاغر لأسقف حتى يمكن ملئه، ومن ناحية أخرى نحن ليس لدينا الوقت لعمل أسقف الإبراشية ومسئولياته ومشاكله.. الفكرة جميلة لكن يلزم أن نضع كل التفاصيل بإتقان حتى نعرضها بطريقة مقبولة.. بدأت أحاور نفسي كما بدأت حوارا مع أبونا مكاري..

- لا بد أن يكون هناك تخصصا للأسقف العام حتى يمكن أن يكون هناك أكثر من واحد..

- لكن لو وجد للأسقف العام تخصصا فهو لم يعد عاماً..

- ممكن أن نحدد الغرض بحيث أن يكون عاما في خدمة كل الكرازة وبذلك يميَّز عن الأسقف الذي يخدم إبراشية معينة، يعني مثلا ممكن أن يكون هناك أسقفا عاما للتعليم..

- أنطونيوس؛ إن ذلك يختلف تماما عن وضع الأنبا كيرلس الرابع الذي رسم كأسقف عام الكرازة بمعنى البطريرك ولكن بطريقة مختفية حتى يوافق الحاكم. وتم رسامته بعد أن انتخبه الشعب كله بالإجماع طبقا للقانون ليكون البطريرك رقم 110. أما الأسقف بتاعنا فلن يكون له شعب محدد، وهنا انتفت عنه صفة الراعي فالأسقف لم يعد راعيا، ومعنى ذلك أنه ليس أسقفا في الواقع الفعلي. فأسقفيته مجرد اسم، وهي حالة لم تحدث من قبل في تاريخ الكنيسة القبطية أو في أي كنيسة أخرى مسيحية. كلمة أسقف معناها الناظر من أعلى على رعيته. فالأسقف الذي بلا رعية لا يمكن أن يسمى أسقفا.

- ولو هو أسقف متخصص مثل التعليم ففي هذه الحالة لن يكون هو أسقف عام الكرازة مثل حالة الأنبا كيرلس الرابع. كما سنواجه بمشكلة نقل الأسقف العام المعين للتعليم أو لأي مهمة أخرى ليصير أسقفا للإسكندرية وذلك ممنوع قانونا وبذلك فلن يمكن ترشيحه

لبطريركية طبقا للقانون.. على العموم ممكن أن يكون أسقف عام واحد بدون ما نحدد له مُهمة وأنا متنازل لك عن المنصب!!!

- أبونا مكاري؛ لا يا شاطر وانا حسيبك..؟!!! إحنا اتفقنا نتحرك مع بعض ولا عايز تفضل راهب وتهاجمني لما أصبح بطريرك زي عمايلك مع الأنبا يوساب!! (ضحك)...

- المهم أن يكون اسمه أسقف عام الكرازة فهناك سابقة تاريخية لهذا الاسم ممكن أن نرتكز عليها. والمتخصصين في القانون نادرين جدا في الكنيسة ويمكن لنا أن نُسكتهم بطُرقنا، أما الشعب فلن يفهم الفرق بين وضع الأنبا كيرلس الرابع وأي وضع آخر المهم الاسم.. لكن ضروري أن يكون للأسقف العام عمل محدد وإلا فما لزومه؟!..

- طيب فلنكن عمليين؛ ما هي التخصصات المطروحة للأسقف العام في رأيك ؟..

- مكاري: اعتقد أن ما يناسبك أنت هو التعليم فلقب أسقف عام الكرازة المرقسية لشئون التعليم.. اسم فاخر جدا ألا ترى ذلك؟!!!

- أنطونيوس: وماذا يكون تخصصك أنت.. ولا ناوي تكتفي بأسقف واحد وتضيعنى .. (ضحك)

- لا أبدا، أنا بدأت أتحمس جدا للفكرة فبدون وجودنا معا في المجمع المقدس ليس هناك حل.. أنا أعتقد أن ما يناسبني هو الخدمات العامة والتي تشمل خدمة الفقراء، لكن الأهم منها خدمة المهجر التي أعتقد في أهميتها الكبيرة جدا للكنيسة القبطية.. أسقفية الخدمات العامة.. مُعبِّرة عن العمل الذي أقوم به الآن تماما..

- طيب وخدمة التعليم ستشمل ماذا؟

- تشمل أمور متعددة؛ خدمة مدارس الأحد وخدمة المعاهد التعليمية؛ الكلية اِلإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية، وكل أشكال التعليم في

الكنيسة. التعليم موضوع واسع وعندك اللجنة العليا لمدارس الأحد ومناهج التعليم فيها تحتاج لدراسة كبيرة..

- أنا فاهم، لكن هناك مشكله وهي الاصطدام بالدكتور وهيب عطاالله، لو اقتربت من الكلية الإكليريكية كأسقف سيكون الصدام شديد ليس فقط معه بل مع كل الكلية الإكليريكية كلها. ولا تنسى أنه معلمي..

- طيب ما أبونا متى كان معلمك.. وأنت تركته واصطدمت به برغبتك عندما تعارض ذلك مع مصالحك..

- هذا صحيح لقد اصطدمت وحتى الآن مش قادر ألم الموضوع.. وأنا غير مستعد أن أفتح أكثر من جبهة في نفس الوقت.. ولو فتحت جبهة الدكتور وهيب سنكون مكشوفين.

- هل نسيت أن الدكتور وهيب أصبح فعلا في موضع الهجوم الشديد من البابا بسبب زيه الجديد الذي صممه للأرشدياكون .. إنها فرصة لنضرب كل العصافير بحجر واحد..

- قلت: إن زيه الجديد أصبح فعلا مثارا للتهكم والبابا غضبان عليه خصوصا بسبب العمة الغريبة الشكل... لكن هل تتصور البابا ممكن يفرط فيه بسبب زيه... إن الكلية الإكليريكية هي حياته وهو مهم جدا بالنسبة للإكليريكية.. لست أتصور إنه يفرط فيه...

- بكرة نشوف!!!!

كان ذلك صورة من الحوار المحتدم سواء مع نفسي أو بيني وبين أبونا مكاري.. في محاولة لإنقاذ الموقف بعد الحال الذي وصلنا إليه..
بعد ذلك الحوار بدأ أبونا مكاري خطوات عملية جادة مع البابا لترتيب رسامتنا أساقفة عموميين الأمر الذي كنت مرتعبا من تكميله. حتى أبونا مكاري لم يكتب ولا مرة واحدة أي مقال ضد الأنبا يوساب أو يعارض رسامة الأسقف بطريركا. لكن المشكلة في عشرات المقالات التي كتبتها أنا في هذا الموضوع خلال سبع سنين. فلست أتصور أنه يمكن أن ينسي

الشعب ما قلته، فكيف أجسر لأتقدم للترشيح للبطريركية بعد نوال درجة الأسقفية، بعد كل ما نشرته مجلة مدارس الأحد لي من مقالات؟!! إن كتاباتي ستكون شاهدا عليَّ أمام التاريخ وهي أكثر ما يسيء إلى.

قداسة البابا الأنبا كيرلس دعا الدكتور وهيب عطاالله وأبلغه رسميا بقراره، بترك الكلية الإكليريكية فورا وكان الأمر صادما له جدا... فالكل يعلم أن الكلية الإكليريكية لم تصبح كلية ولم تقم إلا على يديه، وهناك شعور بالتذمر الشديد في الكلية الإكليريكية ضد البابا. واضح أن كل تحركاتنا كانت تسبب مشاكل كبيرة للبابا الأنبا كيرلس وتثير ثائرة المطارنة ضده ولكن هذه المرة المتذمرون على هذا الوضع كثيرون. ولما سأل الدكتور وهيب البابا كيف ستكون علاقتي بالكنيسة بعد ترك الكلية الإكليريكية؟ فأجابه البابا إن كنت تريد أن تحتفظ بعلاقتك بالكنيسة فعليك أن تذهب للترهب في أحد الأديرة.. حتى هذا الرد كان صادما جدا.. الدكتور وهيب لم يفكر في الرهبنة من قبل فهو كان يريد أن يعيد فكرة التكريس من أجل العلم التي كانت شائعة في مدرسة الإسكندرية القديمة في القرون الأولى للمسيحية، كما أنه لا يؤمن أبدا باستخدام الرهبنة كمدخل للمناصب الكنسية مثل رتبة الأسقف والبطريرك مثل أبونا متى تماما. بعد ذلك سأل الدكتور وهيب البابا في وداعة بالغة، وأي دير تريدني أن أذهب إليه؟ لم يكن لا البابا ولا الدكتور وهيب فكر في ذلك من قبل.. فقال له البابا أعطني مهلة لأفكر في أي دير تذهب له.

كان دير المحرق في ذلك الوقت يمثل أسوء الأديرة القبطية حيث كان به راهب يُحضِّر الأرواح وبه من يعملون بالسحر. كان عدد الرهبان بالدير قليل لا يتجاوز سبعة ولكن كان منهم رهبان خطرين. كان الأنبا كيرلس يريد إصلاح ذلك الدير وزرع فيه روح جديدة وكم تكلم عن ذلك، لكن رؤية أبونا مكاري للموضوع كانت مختلفة فذهاب الدكتور وهيب لدير المحرق هو عملية إقصاء وعزل قد تكون أشد قسوة من إقصاء الأب متى المسكين نفسه.. على الأقل أبونا متى معه رهبان يتكلم معهم ويستأنس بهم لكن الدكتور وهيب مع من يتكلم في دير المحرق ورهبانه بهذا المستوى المخيف؟!! وفعلا تم رهبنة الدكتور وهيب بدير المحرق

باسم أبونا باخوم المحرقي. وبذلك صار كل شيء جاهزا ومُعدا لرسامة اثنين من الأساقفة العموميين لأول مرة في التاريخ الكنسي.

يوم السبت طلب الأنبا كيرلس حضوري من الدير.. ذهبت إليه متثاقل الخطى جدا وفي غاية من التردد من الخطوة الخطرة التي نحن مقبلين عليها والتي أشعر أنها ورطة كبرى أوقعني فيها أبونا مكاري. صحيح أنا صاحب المشورة الشريرة.. لكني كنت أفكر بصوت عالي فقط، فإذ بالفكرة تصبح واقعا.. هل ممكن الأنبا كيرلس يقبل اعتذاري عن رساماتي؟!! سأحاول وسأبذل أقصى جهدا للامتناع!!! كم مرة كتبت ضد الأسقف الذي يرشح نفسه للبطريركية؟ فهل أقع في نفس الخطأ؟!!..وهل أسقف عام الكرازة هو نفسه ما ندعيه عن الأسقف العام؟!!!

بمجرد ما وصلت عند البابا وضع الصليب على رأسي وقال بنعمة الله شنودة أسقف عام الكرازة المرقسية للتعليم!!! كدت أصرخ.. أبكي.. أو ماذا.. الأمر يفوق التعبير.. الخطب جلل.. الموقف رهيب فعلا!!

وفي يوم الأحد الموافق 30 سبتمبر عام 1962 في احتفال كنسي بهيج تمت رسامة أسقفين عموميين لأول مرة في تاريخ الكنيسة القبطية:

القمص مكاري السرياني رسم باسم الأنبا صموئيل أسقف عام الكرازة للخدمات العامة.
والقمص أنطونيوس السرياني رسم باسم الأنبا شنودة أسقف عام الكرازة للتعليم ومدارس الأحد والكلية الإكليريكية.

بذلك يكون الطور الثاني قد انتهى ليبدأ طور الأنبا شودة أسقف عام الكرازة المرقسية للتعليم ؛ومدارس الأحد، والكلية الأكليريكية

تصفيق حاد مدوي في القاعة وزغاريد ....
****

(12) الخاتمة السعيدة

ظهر على المسرح نظير وهو يعانق أبونا أنطونيوس بحرارة، ثم وقف الأنبا شنودة الأسقف ليُعلِّق على خطاب أبونا أنطونيوس التاريخي الذي ختم به جهاده المقدس.

****

صاحب القداسة، أب الآباء، وراعي الرعاة، ثالث عشر الرسل، وقاضي المسكونة، الطوباوي، لسان العطر وفم الذهب، رئيس رؤساء الكهنة الأعظم، الجزيل الإكرام، الأنبا شنودة الثالث، بابا وبطريرك الكرازة المرقسية، مصر والنوبة وليبيا والخمس مدن الغربية وبلاد المهجر... أدامه الله لنا وعلينا سنين عديدة... وأزمنة سلامية هادئة مديدة.. الآباء المطارنة والأساقفة...
وإلى الشعب الذي تشرف بمشاركتنا في هذه الاحتفالية التاريخية...

بعد الحديث المطوَّل الدقيق لأبونا أنطونيوس السرياني الذي أكمل جهاده المقدس مُوضِحا فيه دوره الخطير، وجهاده الكبير، الذي كُلل بوضع ذلك التاج الذهبي المتلألئ فوق هامة الأب البطريرك قداسة الحبر الأعظم الأنبا شنودة الثالث، صاحب أخطر وظيفة على الأرض. كل ذلك جعلني لا أجد إضافة لما قاله مُسجلا أروع كفاح في سبيل التاج البطريركي المُفدَّى، بل وأجد من الأسباب التي تدعوني لطلب تكريمه لما قام به من أعمال بطولية خارقة. وبينما نحن مجتمعين اليوم إكليروس وشعبا، فلنغتنم تلك الفرصة المواتية لتكريم أبونا أنطونيوس السرياني. والاحتفال بتذكار رسامته أسقفا عاما للكرازة المرقسية للتعليم. وليكن الاحتفال عالميا في أنحاء الأرض حيث انتشر السلطان البابوي الخالد في كل المعمورة، فالشمس لا تغرب عن أراضي سلطانه التي تمتد من أستراليا إلى غرب أمريكا ثم ترتد شرقا إلى جزر الهاواي مُغطِّية كل ما بينها من دول وممالك وشعوب وأمم وألسنة، كلها تتبع للكرازة المرقسية تحت السلطان المقدس لأبينا البطريرك المعظم.

تصفيق حاد مدوي في القاعة وزغاريد ....

****

محكمة...

البابا المعظم يلقي قرار المحكمة

نأمر بتكريم أبونا لراهب أنطونيوس السرياني بحسب طلب الأنبا شنودة أسقف عام الكرازة المرقسية للتعليم، وذلك بأن نحتفل جميعا بالذكرى السعيدة برسامته أسقفا... وسيغطي الاحتفال كافة أرجاء الكرازة المرقسية التي لا يغرب عنها الشمس من أقصى المسكونة إلى أقصها.

رفعت الجالسة

تصفيق حاد مدوي في القاعة وزغاريد ....

عزف اللحن الكنسي الشهير:

"والله زمان يا سلاحي اشتأت لك في كفاحي"

يغلق الستار ببطء مع أنغام الموسيقى في وسط حماس شعبي بالغ

****

انتهى الفصل الثاني ويعقبه الفصل الثالث قريبا بإذن الله

الأسقف شنودة أسقف عام الكرازة المرقسية للتعليم

إضراب لكلية الإكليريكية – إلغاء اللجنة العليا لمدارس الأحد – الاجتماع الأسبوعي للأنبا شنودة الأسقف– صراعات الأنبا شنودة ضد البابا الأنبا كيرلس وافتتاح مجلة الكرازة وإغلاقها- الخلاف مع الأنبا كيرلس ورسامة الأنبا غريغوريوس- الأنبا صموئيل أسقف الخدمات- محاربة كتب الأب متى المسكين وكتب الأنبا غريغوريوس ومعهد الدراسات القبطية- النكسة وجمال عبد الناصر والظهور في كنيسة الزيتون- الأنبا كيرلس يراجع نفسه ويشعر بالخطأ ويرفع الظلم عن أبونا متى المسكين ويعيده إلى دير أبو مقار وتعمير الدير - أول كنيسة بالمهجر والأنبا صموئيل - وفاة جمال عبد الناصر والصراع السياسي على السلطة في مصر الذي انتهى بأنور السادات رئيسا لمصر- نياحة الأنبا كيرلس- الصراع العنيف على الكرسي البطريركي – تجديد العهد بين الأنبا شنودة والأنبا صموئيل- الأنبا شنودة يقوم بالدعاية الانتخابية لنفسه – إميل ماهر يصدر بيان للدفاع عن ترشيح الأسقف العام- بعد إغلاق باب الترشيح تأجلت الانتخابات لأجل غير مسمى – إعادة فتح باب الترشيح لإبعاد الأب متى المسكين- الأنبا أثناسيوس رئيس لجنة الانتخاب يستبعد الأب متى المسكين من الترشيح في اجتماع غير قانوني للجنة، ويقوم بالتزوير لفرض خمسة مرشحين للبطريركية بالتواطؤ مع السادات نفسه- ثورة الشعب القبطي وتشكيل لجنة المحامين الأقباط برئاسة حنا نيروز لرفض المرشحين الخمسة ورفع قضية بمجلس الدولة - المجلس يتلكأ وتؤجل القضية مرات لحين إتمام القرعة الهيكلية - منع الشعب من الانتخاب واختيار من ينتخبون البطريرك - القرعة الهيكلية للمرة الثانية – الأنبا شنودة بطريكا للكرازة المرقسية بعد أكبر مهزلة انتخابات وتزوير في تاريخ الكنيسة لانتخاب

وإلى لقاء